نـــادى القصـــة
يحتفـل بمـرور عشـرين سنـة على تأسيسـه

28 ــ 29 و 30 ديسمبـر 1984

ـ الجمعة 28 ديسمبر 84 بدءا من الساعة الرابعة بعد الظهر :

● اكتظت القاعة الكبرى للنادى الثقافـى « أبو القاسـم الشابـى » بالورديـة ، بجمهور وافر العـدد من المثقفيـن واحباء الادب ومن الشعـراء والكتاب والصحافيين .

وافتتح حفل العشرينية بتدشين المعرض من قبل السيد وزير الشـؤون الثقافية . كان المعرض يشتمل علـى لوحات تبرز نماذج مـن خطوط أعضاء نادى القصة ، وعلى صور شمسية لاغلب الاعضاء ، واحتوى الجانب الثانـى مـن المعرض كتب أعضـاء النادى الصـادرة ضمـن منشـورات « قصص » و « صفاء » و « الشركة التونسية للتوزيع » و « الدار التونسية للنشر » .

ثم أخذ الكلمـة الاستاذ محمد العروسى المطـوى رئيس نادى القصـة ، فرحب بالحاضريـن ونـوه باشراف معالـى وزير الثقافـة على هذا الحفل (انظر الكلمة المنشورة فى هذا العدد) .

ثم احيلت الكلمة الى الاستاذ رضوان الكونى الذى أعطى لمحـة تاريخيـة عن ظروف تأسيس النادى وأورد وصفا لسير العمـل والنشاط داخل نادى القصة (انظر الدراسة المنشورة بهذا العـدد : نـادى القصـة : التكويـن والمراحـل) .

ثم أعطيت الكلمة الى الاستـاذ البشير بن سلامة وزير الشؤون الثقافيـة الذى لاحظ أنه لا يشعـر بالغربة وسط هذا المجمع وفى هـذا المكان بالذات (نادى القصة) ، باعتباره كاتبا وباعتباره يواكب نشاط النادى منذ تأسيسه ولكونه له سابق معرفة بجل الكتاب ، منوها بالدور الذى لعبه نادى القصـة ونتائجه الايجابية فى ميدان الابداع القصصى . وحلل بعد ذلك مجهود وزارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشؤون الثقافية فـى النهوض بالقطـاع الثقافـى ومساعدتهـا وأخذها بيد المؤسسات الثقافية خاصة التى تقوم على الهواية والتلقائية (وينظـر النص الكامل لكلمة السيد وزير الشؤون الثقافية المنشورة فى هذا العدد) .

واثر ذلكا انتظم حفل استقبال على شرف الحاضرين .

ـ السبت 29 ديسمبر 1984 بدءا من الساعة الرابعة بعد الظهر :

● قدم نور الدين بن بلقاسم دراسة حول الواقعية ومدى تجارب القصة التونسية مع مشاغل المجتمع .

● ثم قدم محمـود التونسى دراسة حـول فنيـات الكتابـة القصصيـة وجمالية النص القصصى .

● ثم قدم محمد الحبيب حمادى عرضا حول النشر وسير التوزيع ومدى اقبال القارىء على الكتاب التونسى .

ـ وأخيرا ، قدم جلول عزونة دراسة عن أصول القصة ، ودعا فيهـا الـى ضرورة الاطلاع علـى البدايات القصصية القديمة ، والـى دراسـة القصـة الشعبية والخرافة ومحاولة الاستفادة من تقاليدنا وعاداتنا عسى أن نحصـل على قصة ذات سمات محلية لها شخصيتها ولها مقوماتها ، وتساءل فى الختام عن مدى تأثر القصة العربية بالشكل الغربى أو العكس .

وبعد هذه الدراسات أثير نقاش طويل مثمر .

ـ الاحد 30 ديسمبر 1984 بدءا من الساعة العاشرة صباحا :

خصصت الجلسة الختامية للعشرينية للنظر فـى مسائل تنظيميـة تهـم سير العمل بنادى القصة .

فتكونت لجنتان : احداهما للنظر فى « نشاط النـادى » (انظـر التقرير المصاحب)

ونتيجة لتوصيات اللجنتيـن المذكورتين ، تكونـت هيئة مديرة لنـادى القصة من الاعضاء التالين :

الرئيس : محمد العروسى المطوى

الامين العام : رضوان الكونـى

منشورات قصص : التابعى الاخضر

مجلة « قصص » أبو بكر العيادى

العلاقات الخارجية والتنشيط والاعلام : سمير العيادى

كما تكونت هيئة تحرير مجلة « قصص » من الاعضاء التالين :

محمد العروسـى المطـوى : المدير المسؤول رئيس التحرير

بوبكر العيادى : أمين التحريـر

أحمـد ممو : عضو هيئة التحرير

عمـر بن سالم : عضو هيئة التحرير

نور الدين بن بلقاسم : عضو هيئة التحرير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقرير لجنة النظام الداخلـى :

نادى القصة خلية تابعة للنادى الثقافى أبـو القاسم الشابى تعمل بمقتضـى نظامه الاساسى وبمقتضى تراتيب العمل الداخلية التالية :

1 ـ **العضويـة :** أعضاء نادى القصـة من القصاصين والنقاد ينقسمـون الـى :

- أعضاء عامليـن .
- أعضاء منتسبين .
- أعضاء شرفييـن .

أ ـ العضـو العامـل : تعطى صفة العضو العامل مـن قبـل الهيئـة المديرة لمن يواكب جلسات النادى باستمرار ويشارك فى ندواتـه أو يساهم بالكتابـة فى أربعة اعداد من مجلة قصص على الاقل .

ب ـ العضو المنتسب : تعطى صفة العضو المنتسب من قبل الهيئة المديرة لمن يساهم بالكتابة فى مجلة قصص عن طريق المراسلة من البلاد التونسية أو من خارجها .

ب ـ العضو الشرفى : تعطى صفة العضو الشرفى من قبل الهيئة المديرة لمن يعمل على اعانة النادى ماديا ودعمه أدبيا للتعريف بانتاجه وباعضائه .

وكل عضو مطالب بدفع مساهمة مالية شرفية قدرها 3 دنانير على الاقل

تقرير لجنة « نشاط النادى »

1 ـ الملتقى :

ـ ينظم النادى ملتقاه السنوى فى الاسبوع الاول من شهر سبتمبر ، ويقترح أن يكون فى المركز الثقافى الدولى بالحمامات ، ويقدم النادى الطلب فى ذلك من الآن الى وزارة الشؤون الثقافية ، ويوجه النادى دعوات شخصية الى أعضائه لحضور الملتقى . وتضبط هيئته جدول الاعمال مسبقا ويوجه مع الدعوات ، وعلى الملتقى أن يضبط برنامج نشاط السنة وتحديد المسؤوليات فى ذلك .

2 ـ النشاط :

أ ـ الجلسات الاسبوعية :

ـ تستمر الجلسات الاسبوعية محافظة على دورياتها الحالية ، وعلى النادى أن يسعى الى اثرائها بدعوة المهتمين من غير أعضائه من حين لآخر الى حضورها ويقترح اثراء الجلسات بقراءات نقدية تنطلق من آثار منشورة وخاصة من مجلة قصص ومنشوراتها . وينبغى الاعتناء أكثر بدفتر النادى الذى تسجل فيه وقائع جلساته ومختلف وثائقه ، ومن الواجب المحافظة عليها جميعا وعدم التفريط فيها لاى كان .

ب ـ الندوات :

ـ يقترح تنظيم ندوتين :

الاولى على الصعيد الوطنى : يكون موضوعها « الجوانب الفنية والمضمونية فى القصة التونسية » تنظم فى شهرأفريل 1985 لمدة ثلاثة أيام بمقر النادى

والثانية دولية : يكون موضوعها « القصة العربية بين التأثر والتأثير » ، تنظم فى شهر ديسمبر 1985 بمقر النادى لمدة تحددها اللجنة التحضيرية .

ج ـ اللقاءات الخارجية :

يتم التنسيق بين النادى واللجنة الثقافية القومية واللجان الجهوية والمحلية لتنظيم لقاءات بالقراء داخل البلاد ، وينبغى على النادى اعداد برنامج مسبق لكل لقاء وان يحث أعضاءه على المشاركة فى هذه الملتقيات ، وعليه أيضا دعم أعضائه الموجودين داخل الجمهورية لتكوين نواد تهتم بالادب عامة وبالقصة بصفة خاصة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

3 ـ النشـــــر :

أ ـ المجلـــــة :

- ينبغى تنويع أبواب المجلة ، وذلك :

ـ بتكثيف الدراسات النظرية والتطبيقية .

ـ بالسعى الى نشر القصص والبحوث المترجمة .

ـ بافساح المجال للاقلام الناشئة فى ركن خاص .

ـ بتخصيص ركن لنقد مواد المجلة (العدد السابق خاصة) .

ـ باصدار عدد خاص سنويا فى موضوع موحد .

- يحث اعضاء النادى على نشر المجلة والتعريف بها بما يتاح لهم من وسائل .

ب ـ منشورات قصص :

ـالسعى الـى نشر انتاج أعضاء النادى فـى سلسلـة منشورات قصص بصورة أكثر انتظاما وتنوعا .

4 ـ المسابقات والجوائـــز :

يقترح تنظيم مسابقتين سنويا :

الاولى : جائزة الابداع القصصى (القصة القصيرة والرواية) مخصصـة لاعضاء النادى ، يكون النص المقدم فيهـا (مجموعـة قصصية أو روايـة) مخطوطا لم ينشر سابقـــا .

والثانية : جائزة القراءة القصصية ، وهـى مفتوحة للقراء من غير أعضـاء النادى ، تقدم فيها دراسات نقدية وتحليلية مخطوطة لم تنشر من قبل لانتاج نادى القصة (المجلة والمنشورات) ، آخر أجل لتقديم الانتاج المترشح فى شهر سبتمبر (تاريخ الملتقى) ويعلن عن النتائج فى شهر ديسمبر بمناسبة انعقاد الندوة الدولية أما مقدار الجائزتيـن الاولى والثانيـة فتحدده هيئـة النادى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمـة الاستـاذ البشيـر بن سـلامة

وزيـر الشـؤون الثقـافية

انـه لحدث فى دنيا الادب أن نحتفل اليوم ، فى هذه الثلة من الادباء والكتاب والمثقفين ، بالذكرى العشرين لتأسيس نادى القصة « أبو القاسم الشابـى » هذا النادى الذى يعمل من أجل ثقافة حية وشعبية .

فلقد ترددت ، لمـا دعيت الى حضور هذا الحفل ، بين أمرين : بيـن أن ألقى كلمة مكتوبة ، مضبوطـة التعبير والمحتوى ، وبين أن أرتجل كلمة ، تحمل ، ربما فى ثناياها من العفوية ما يمكننى أن أعبر عن الكثير من الافكار التى كانت وما تزال تراودنى . أفكار أتبينها من خلال عمل تقوم به ثلة من الادباء والمثقفين ، فيؤكد تلك الشعلة التى ما تزال تنبض فى قلوب الذين آمنوا بالكلمة وفى أفئدة من آمنوا بالنضال فى كل الميادين .

لقد آثرت أن أسوق بعض الخواطر العفوية فى هذا الحفل الذى حرصت ، رغم المشاغل ، أن أحضره بينكم ، وان لم أكن يوما من الايام عضوا فى هذا النادى بيد أننى أعتقد أن ما قام به يعد عملا عظيما فى ميدان القصة ، هـذا الفن الذى لم يكن فـى تاريخ الادب التونسى فنا متداولا ولا معروفا . بـل كان الشعر هو الفن الذى يتصدر المرتبة الاولـى .

ولا أريد أن أذكر ما جاء على لسان الاخ العروسى المطوى ، ولا ان أعيد ما قاله الاستاذ رضوان الكونى فى هذه الالمامة القصيرة حول ما حف بهـذا النادى مـن ظروف ومـا اعترضـت سبيله من مشاكل اتحسسهـا بنفسى وأعرفها جيد المعرفة . وانها فـى الواقع من صلب العمل الثقافـى الصحيح الذى لا يستقيم الا اذا انطلق من هـذه الظروف الشاقـة ، ظروف الجهـد والعمل الدائب توقا الى ما هـو أعـلى وأسمى ، وسعيا الى الظفر بمـا نريـد

تحقيقه من خلال هذا النادى أو النوادى الاخـرى . ولا يسعنـى فـى هـذا المجال الا أن أغتنم هذه الذكرى لاحيى كل الذين عملوا على أن يبقـى هذا النادى وتستمر أعماله ونشاطاته ، وخاصة فى مجال النشر الذى ترسخ فى هذه الظروف المواتية ، ظروف الاستقلال فنحن ندرك الصعوبات التى تحف بكل ما ينشر ونعى المشاق التـى يعانيها الانسان لاصدار مجلـة كمجلـة الفكر . ولهذا ، فاننى أحيى كل الاخوان وأشد على أيديهم بكل قـوة ، وأقف معهم والى جانبهم حتى يبقى هذا النادى حيا ، وحتـى يتواصل نشر مجلـة « قصص » بدورية ثابتـة .

ان ما بلغناه اليوم ، على صعيد السياسة الثقافية فى دولة الاستقـلال ، انما هو كفيـل بأن يؤمن صدور مجلـة « قصص » ، ويثبـت استمرار هـذا النادى فى نشاطـه والمضاعفة فيه . ويمكننى القول بكـل ثقـة ، ان وزارة الشؤون الثقافية ستعمل على الاقـل على تمكين هذه المجلـة من الصدور بتغطية تكاليف طبعها . وهو فى اعتقادى أقصى ما يمكن أن تقوم به الوزارة بعد مساهمتها فى السنتين الاخيرتين ، فى تكاليف الطبع . وبهذه الصورة تتدعم مسيرة النادى ، يذكيها التفاف أعضائه، ويغذيها ما سنوفره من امكانيات النشر والتوزيع . فتزدهر المجلة وتأخذ طريقها الى الصدور بدورية أكبـر (الآن 4 اعداد فى السنة).

كمـا لا يسعنى الا ان اؤكد ان مثل هـذه النوادى هـى أسـاس العمـل الثقافى وهذا ما نروم دعمه فى نطاق سياستنا الثقافية التى لا يمكن لى القـول انها جديدة . بل هى متواصلة . وعلينا ان نعود الى ذلـك النفس الاول الـذى أحدثت على أساسه وزارة الشؤون الثقافية ، وتلك الصورة النظرية التـى بعثت من أجلها دور الثقافة ودور الشعب واللجان الثقافية . وهـو المنهج انذى أراد من الثقافة فى تونس ألا تكون ثقافة تعتمد الادارة والهياكل ، بل تعتمـد الانسان . وحتمى أن نعود لنجعل من هذه الدور واللجان والنوادى منتديات تعج بالعـزائم الصادقة وبالمنتجين والمثقفيـن ، وبالذيـن هـم يؤمنون بأن الثقافة ليست مالا يعطى ولا هى بتشريفات أو هبـات ، بل هى جهد وعطاء . وما صدر الى حد الآن من مجلة قصص فى اطار هـذا النادى ـ حوالى 66 عددا ـ ، رغم ما ذكر من صعوبات انما هو لذة المجهـود الحق ، الذى ينزل على القلب بردا وسلاما ، وهو التأكيد علـى أننا نسلك المسـار القويم فى سياستنا الثقافية . وعدا ذلك فهو اهدار للطاقات والامكانيات .

وفى هذا السياق من التأكيد على مواصلة الجهود بنفس العزيمة ، يجدر بنا أن نوضح بعض الحقائق ، وخاصة للشباب ، حتى يدركوا الظروف التى هيأها الاستقلال والارضية التى بناها هذا النظام ليؤمنوا بها وبما تنعم فيه البلاد من حرية ايمانا راسخا لا يتزحزح . وما هذا النادى الا دليل على ذلك اذ هو نتاج عزيمة دستورية . ولم يشترط مؤسسه شيئا سوى حرية التفكير والنضال الحقيقى من أجل ثقافة وطنية ، ثقافة تؤمن بالانسان فى كنهه المطلق . وتلك هى سياسة هذا النظام وسياسة الحكومة . واننا نعرف ـ كمسؤولين على مجلة الفكر ـ انه لم يسأل مرة واحدة عما ننشر ، من أى مستوى كان . بل كان المجاهد الاكبر ولا يزال يعتنى بهذه المجلة وبكل انتاج يصدر . وكلما أهدى كتابا أو مجلة أو عملا ثقافيا ، كان مسرورا جدا .

على انه لا بد أن نقر أن الواجب يقتضى أن يكون العامل فى الحقل الثقافى شاعرا بمسؤوليته ، مدركا أن هذا العمل شاق ، يتطلب التحلى بعديد الصفات . وما هذه الخلايا المتعددة فى تونس ، التى تساهم فى تشييد الصرح الثقافى التونسى الذى نريد ، فى شموليته وتمسكه بالمبادىء والقيم الانسانية ، الا خير معبرون عن التحلى بهذه الصفات ومجلة قصص والنادى الثقافى أبو القاسم الشابى ونادى القصة كلها خلايا عمل وبناء وتشييد للصرح الثقافى فى ربوعنا ، ذلك الصرح الذى نريده شموليا ، متمسكا بالمبادىء التى درجنا عليها منذ أيام النضال ضد المستعمر .

ومن هذا المنطلق فتشجيع كل العزائم الصادقة على دخول معمعة التشييد والاضافة هو أحد محاور توجهنا .

ان السعى متواصل لكى تعود اللجان الثقافية ودور الشعب والمنتديات الفكرية الى ما كانت عليه فى البدء .. من حركية وتوهج واشعاع .. خاصة أن الامكانيات قد توفرت ومناخ العمل الابداعى قد غدا جاهزا .. وامام هذه الانجازات التى تمت فى جميع القطاعات الثقافية فان صنع الثقافة أصبح من مشمولات المؤمنين من المثقفين ، وليس من اختصاصات وزارة

الثقافة وهياكلها . ولهذا فقد دعوت الى تكوين مجالس لدور الثقافة ودور الشعب واللجان الثقافية من المباشرين للعمل الثقافى من رؤساء جمعيات ونواد ومديرى فرق وكل من له صلة بالميدان الثقافى .. ومن الجائز القول أن بعض المثقفين كان يتحاشى ارتياد المؤسسات الثقافية لتعلات مختلفة فيها الواقعى والوهمى .. واليوم بدأ هؤلاء يعودون شيئا فشيئا اذ الثقافة لا تزدهر الا بمساهماتهم وما النوادى والمنتديات والمجالس الا أطر رعاية وتنظيم .. ونادى القصة هو خير مثال على ما نقول .. ولهذا فان وزارة الثقافة تعمل جاهدة على احاطة الجمعيات التى بعثت حديثا بالدعم والتشجيع ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر . جمعية الفلسفة وجمعية الدراسات الدولية ، وقد شجعت شخصيا اعضاء هذه الجمعيات على اصدار نشريات لها .. وكان الامر كذلك ، اذ انطلقت المجلات المختصة تغزو الاسواق وتستدرج القراء بمضامينها الراقية وتوجهاتها الفكرية الملتزمة ، وكلما كانت هذه النوادى والجمعيات تسعى الى اعلاء كلمة الثقافة بعيدا عن الاغراض الاديولوجية والذاتية الاخرى فان سعيها يجد صداه العميق لدى كافة الفئات .. وبظهور مثل هذه النشريات تتدعم الثقافة وتزدهر .. وينبثق تنافس فكرى نزيه من شأنه أن يفجر الطاقات ويطلق العنان للمواهب فتطفو على الساحة وتتألق ووزارة الشؤون الثقافية غدت تدعم ما يقرب من 25 مجلة ثقافية وتشترى منها كميات تتراوح بين الألف و 3 آلاف نسخة وذلك ابتداء من شهر جانفى 1985 .. ومن هذا المنطلق فان سياستنا الثقافية ترتكز على مبدأ تشريك كل أفراد المجتمع وخاصة أهل الفكر والثقافة منهم فى الاعمال التى تقوم بها ، حتى يشعروا بالمسؤولية شعورا كاملا .. ويقفوا على المشاكل الحقيقية لكى لا تبقى لديهم فى حدود النظريات الضبابية .

هذا هو التصور القويم للثقافة الحق .. فهذا النادى ومجلته .. وتلك الجمعيات والمجلات الاخرى هى أصلا المنهج العملى الصحيح .. فلولا مجلة الفكر ومجلة قصص ونشريات أخرى ما كان لاقلام عديدة أن تبرز ويشتد عودها . ولهذا فان ما قامت به دولة الاستقلال والنظام البورقيبى ، وما قام به رجال الثقافة قبل الاستقلال وبعده كالاستاذ محمد مزالى .. يدل على أننا يجب أن نستمر فى هذا المنهج الصحيح .

ومن واجبنا التذكير بأن هذا النادى قد مكن العديد من الشبان من دخول معمعة الابداع القصصى من الباب الكبير .. الى جانب المجهود الذى بذلته بلدية تونس عندما كان السيد محمد مزالى على رأس لجنتها الثقافية ، حيث سعت الى حث الروائيين والقصاصين على المشاركة فى جائزة بلدية تونس .. وأذكر أيضا أن السيد محمد مزالى الذى حث المرحوم البشير خريف على المشاركة فى هذه الجائزة ثم هيأ له كل الظروف حتى يمكن له التفرغ نسبيا للعمل القصصى ، كما فعل ذلك مع العديد من القصاصين والروائيين كالأخ رشاد الحمزاوى وغيره .. وقد كنت شخصيا ضمن هؤلاء الذين نالهم تشجيع السيد محمد مزالى .. ولكن مشاغل أخرى عديدة منعتنى من تحقيق تلك الرغبة فى ذلك الوقت . وهنا تكمن أهمية تلك الجائزة .. فلم يكن المبلغ المالى هو الذى حث الكثيرين على كتابة القصة والرواية .. بل الدافع المعنوى الذى تتضمنه هو الذى دفع الكتاب ليحزموا أمرهم ويشدوا من عزائمهم .

والقصة قصيرة كانت أم رواية فهى فن المستقبل بدون منازع ـ مع احترامنا للشعر والشعراء ـ وهنا تكمن أهمية هذا النادى فى تمكين الجمهور العريض من الاهتمام بالفن القصصى .. حتى يصل الى المرحلة التى يكون فيها التونسى قارئا مستمرا .. يشترى الكتاب على غرار المواطن فى البلدان المتقدمة .. فلا يجوز أن نكتفى بما تشتريه الدولة من كتب . فبخروجنا من النوادى الضيقة ومباشرتنا للجمهور العريض نكون قد حققنا البعض من أحلامنا وطموحاتنا . وهذا العمل الكبير يتطلب تظافر كافة الجهود وخاصة فى القطاع التربوى الذى ينمى حب المطالعة لدى البراعم الصغيرة . وهذه الظاهرة هى التى دعت الدولة الى بعث صندوق التنمية الثقافية ورصد 3 ملايين من الدينارات لتدعيم العمل الثقافى ، ايمانا منها بأن النشر فى ربوعنا لا يمكن له أن يزدهر الا اذا ما اشترت الدولة الانتاج الجديد وشجعته وهذا الحل يجب أن يبقى ظرفيا والا أصبح ظاهرة غير صحية .وم ن هنا وجب علينا العمل على بعث هذا الوعى لدى الجماهير مع مواصلة بذل الجهد لنشر وتوزيع وترويج ما ننتج من نشريات لان هذه الممارسة تدخل أيضا فى صلب العمل الثقافى الجاد .

كما يجب علينا أن نحلق خارج حدودنا .. فهذه النوادى نفسها يجب ان ترتبط أكثر فأكثر بنواد وجمعيات أخرى فى البلدان العربية . ووزارة

الثقافة مستعدة لتشجيع مثـل هذه المبادرات ويمكن لها اقحامهـا ضمـن الاتفاقات الثقافية التى تبرم مع البلدان الشقيقة والصديقة .. ومـا أدرجناه فى البرنامج التنفيذى الاخير مع الجزائر انما يدخل فى اطار هذه السياسة التى تجعل النوادى والجمعيات والفرق مرتبطا بعضها مـع بعض فى البلدين الشقيقيـــن .

والظاهرة الموجودة فى تونس هى أن الكاتب مقل فى أغلـب الاحيان .. لعدة اعتبارات .. من أهمها قساوة المبدع التونسى على نفسه .. ومناشدته الكمال فى ما يكتبه .. نتيجة الشعور بعدم الرواج لدى الجماهير .. فالعديد من الاقلام دخلت ساحة الخلق بكـل حماس ثم انطفـأت فجـأة .. لكـل هذه الاسباب التى ذكرت ـ وأعتقد أن ما قام به نادى القصة رغم انه يبدو ظاهريا قليلا ـ يدخل ضمن الاعمال الجليلة التى قدمت للأدب والثقافة فى ربوعنـا ومن هنا يمكن لهذا النادى أن يواصل مسيرته ليصبح مؤسسة كبيرة لهـا روادها من الجماهير العريضة .. والمبدعين .

وختاما أريد أن أشير الى أن العمل الثقافى والعمل الادبى خاصة هواية وحماس وافناء للوقت والقوى قبل كل شـىء .. فغايته فى نفسه .. وهـى الوصول الى خلق ما نريد من أدب عميق ومتجذر .. ونـادى القصة سـاهم المساهمة الكبرى الى جانب مجلة الفكر فى رسم ملامح القصـة التونسيـة فى شكلها المرتبط بالواقع .. بما فى هذا الواقع من مساو ومحاسن .

فمرة أخرى تحية لاعضاء النادى على ما قاموا به من أعمال جادة ..

وتمنياتى لهم بالنجاح فى أعمالهم المستقبلية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلمـة الاستـاذ محمـد العـروسى المطـوى

رئيس نادى القصة بالنادى الثقافى أبو القاسم الشابى

ان تمـر عشرون سنة على ناد أدبى فـى تونس فذلـك يبعث علـى الاعتزاز وظاهرة تستحق التنويه والاكبـار دون شك . ومرد كـل ذلك فى أساسه يعود الى عزيمـة أعضاء هذا النادى وهم هواة مناضلـون مؤمنـون بضرورة التواصل والاستمـرار ، لا يعبأون بالمظهر الزائـل أو بـالبهرج الفج . وكانت قلتهم قلة الصفـوة تتماسك وتتضافر فالغائـب له عـذره ، والحاضر يؤدى المهمة . وكانـت لقاءات يوم السبت ـ فـى حد ذاتهـا ـ تبرهن على نوع تصوف يشـد نزوات النفس ويكبح جموح الأهواء . وكان بـعد النادى عـن يـد المتقاعس أو الكسـلان معلما آخـر مـن معالـم سـر بقائه . وكان تجرد منتسبيه عن زخرف الظهور ، وعزوفهم عن سراب القيعة الربـاط الذى لا تنفصم عراه ، والقطار الذى تشد عرباته سلسلـة الذهب ترق ترق ولا تنقطع .. والهواية ـ لعمرى ـ سر بقاء هذا النادى ، ولو كان يخضع لفصول القوانين ، وقواعد الانظمة فى الجمعيات والنوادى لتلاشـى أمره ، وانفصمت عراه . وكم هى ضحايا التمسـك بقشور القواعـد وظواهر النصوص ، فى ربوعنا الادبية والثقافية . وخذوا حجة أخرى عـلى ذلك ، انها نادى الفكر ومجلته الرائـدة . وذلـك سر مواصلتها المسيرة . وهـا هى ذى بعد شهور ستحتفل بذكراهـا الثلاثين فلها مسبق التهنئة كمـا لها سابق التجربة .

أيها الاخوة .

إن احتفالنا بمرور عشرين سنـة عـلى انشـاء نادى القصة يحتـم علينـا الاعتراف بالجميل وارجاع الفضل الى أهله . فما كان لنادى القصة أن يولد

سوى الخلق ، مستكمل الهيئة لـو لا انبعاث النـادى الام ، النـادى الثقـافى (أبو القاسم الشابى) الذى تفضل المجاهد الاكبر بتدشينه فى حفل وطنى مشهـــود .

ولم يكـن نادى القصة سوى خلية من الخلايـا العديدة لهـذا النـادى ، وشعبة من شعبه التى لعبت دورا هامـا لا ينكـر . وكـان النادى الثقافـى (أبو القاسم الشابى) طليعـة النـوادى الادبيـة ودور الثقافة الـتى جـاءت بعده وانتهجـت منهجه فى ربط تسميتها باعلام تونسيين قدامى ومحدثيـن أمثال ابن خلدون وابن رشيـق والطاهر الحداد وغيرهم . وقـد لعـب هـذا النادى دورا ثقافيا وطنيا وقوميا قبل أن تنتشر تلك الدور والنوادى التـى انبعثت بجهود المؤسسة التـى تدرجت فى التسميـة من كتابة دولـة الى وزارة للشؤون الثقافية . ومعنى ذلك أن النادى الثقافى انبعث من أساسـه عن مجهود شعبـى يعتمد الهواية فى التسيير والانتاج . ويعود الفضل فـى كـل ذلك الى المناضل الكبير البشير زرق العيون رئيس شعبة المنطقة الـتى أصبحت تحمل اسمه الآن . وأذكـر للتاريخ أن الاخ البشير زرق العيـون بعدما انتهى مـن بناء النـادى اقترح عـلى نخبة مـن أهـل الثقافـة ليتولوا تنشيط النادى دون أن يبدى تدخله فى تسييره وبرمجته ولـو مرة واحدة منذ انشائه الى اليوم . وتلك محمدة من مناقب هذا المناضل تذكر فتشكر، ومساهمة ايجابية فى البعث الثقافى وتنميته تستحق التسجيل والتقدير .

أمـا مسيرة مجلة قصص فما كـان يخطر ببال أحد من أعضاء النادى أن يتولى النادى نشرها بعد أن تعهدت بذلك مشكورة الدار التونسية للنشر ، الا انه لظروف لسنا مسؤولين عنها وجد النادى نفسه مضطـرا الى تحمل تبعة نشر المجلة بعد أن توقفت عن الصدور سنة وثلاثة أرباع السنة فى الوقت الذى بدأ مؤشر الاسعار يتصاعد ويرتفع حتى وصل فى سعـر الورق الى أكثـر من ماثتين فى المائة وفى جملة التكاليف الى ثمانين فى المائة دون أن يصل ارتفاع سعر المجلة الخمسين فى المائة . وكانت صبغتها الثقافية الصرف والرغبة فى ترويجها وانتشارها تحولان دون الوصول بسعرها الى تسديـد التكاليف بله توفير المكاسب . وهكذا وجدت المجلة نفسها فى مأزق لـولا وجود أخينا العزيز الاستـاذ البشير بن سلامة علـى رأس وزارة الشـؤون الثقافية فتفضل مشكورا فى السنتين الاخرتين بمساعدتها عندما أمر بطبع

عددين من المجلة على نفقة الوزارة . ثم جاء المشروع الثورى « صندوق التنمية الثقافية » الذى سيتعهد بداية من سنة 1985 بشراء كميات من المجلة تكاد تغطى تكاليفها الاساسية . فالى الاخ العزيز الاستاذ البشير بن سلامة بالغ الشكر وفائق التقدير . وانا على يقين اننا سوف نلقى منه المزيد من الدعم الوافر من السند وهو الذى حنكته التجارب فى مشاكل الكتابة والانتاج والتوزيع .

وفى نهاية هذه الكلمة لا يسعنى الا شكر كافة الاخوان الذين لبوا الدعوة وشاركونا فى الاحتفال بمرور عشرين سنة على انبعاث نادى القصة ، كما لا يفوتنى أن أنوه بلفتة اللجنة الثقافية الجهوية بولاية تونس التى مدت لنا يد التعاون فى اقامة هذه العشرينية فلها منا جزيل الشكر . والسلام عليكم ورحمة الله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراســة الاستــاذ رضــوان الكــونى

نــادى القصــة

التكــوين والمــراحـل

فى السنوات القليلة التى عقبت استقلال تونس بدأ التوجه الى القصــة يتجلى أكثر ، وأصبح ظهور القصة على صفحات الجرائد اليومية والمجـلات يتوضح مرة بعد أخرى . وقد ساعد على بروز هذا الفن أسباب ، أهمها :

ـ ان الكتاب اقبلوا بدافــح وطنى أو حنينى عــلى تخليــد لحظــات مهمــة فى تاريخ الحركــة الوطنية ومقاومة الاستعمــار ، وأكدوا فــى كتابــاتهــم القصصية أكثر من مرة على الروح الوطنيــة التى صاحبت مراحل الكفــاح التحريرى وأبرزوا وجوها عديدة من البذل والتضحية والبطولة كانت هــى وحدها سببا موجبا لهذا التخليد فأسرعوا بتسجيل لوحــات رائعة المغزى بعيدة القصد اعترافا منهم بالخلود للابطال الذين ضحــوا وقضوا نحبهم أو الذين فازوا بالحياة بعــد كفاح مرير فكانــت تلك اللوحــات الفنيــة مرآة للنواحى الانسانية التى يهملها التاريخ فى سرده العام للاحداث الكبرى .

وكانت قصص تلــك المرحلة قصصــا شاهدة بحق عــلى نضالية الشعــب ووقوفه فــى وجه المستعمر وقد ساعد الكتاب على ايراد قصصهم تلك فى واقعية تلهج بالصدق قربهم الزمنى من الاحداث ، اذ ان منهج الكثير الذى عاش معركة التحرير ورآها رأى العين ، ومنهم من أنصت الى بعض رواته الثقات وروى عنهم وسجل مروياتهم فى كتابة فنية أراد لها أن تكون مسجلة حتــى لا تضيع وتتلف .

والى جانب هذه النواحــى البطولية حرص بعض الكتاب علــى تسجيــل لوحات أخرى من الواقع التونسى المحلى تبرز العادات والتقاليد والملابس واللغة والحياة اليومية فى البيت والشارع ودور المرأة التى كانت فى أغلب القصص المكتوبة فى تلك الفترة امرأة غير متعلمة ، الا أن دورها لم يكــن

منحصرا فى المهر الغالى والزواج وتربية الاطفال فقط ، وانما تعمل كذلك وتناضل وتضحى من أجل غد أفضل ، الى غير ذلك من الموضوعات التى حرص الكتاب آنذاك على تسجيلها محافظة عليها من الاندثار وقد بدأت الشخصية التونسية تتبلور وتمر بمرحلة جديرة هى مرحلة النقد الذاتى والتخلى عن كل ما يمكن أن يكبل المجموعة الى الخلف ، وهى مرحلة التوق الى ماهو أحسن نتيجة انتشار التعليم وتسرب الثقافة داخل المنازل وبداية التقسيم لكل ما تعيشه على مستوى الفرد ثم على مستوى المجموعة .

ولو حاول قارىء أن يجمع تلك النصوص القصصية الشاهدة لاستطاع أن يكون بفضلها فكرة واضحة عن المجتمع التونسى الذى هيأ للاستقلال ولاستطاع أن يميز أخلاقه وعاداته وسلوكه وحبه لهذا البلد وكفاحه ، ودون اعتبار الدافع على كتابة تلك النصوص ، أكان الكتاب كتبوها بنية التاريخ والتسجيل ، أو لنيل شرف المساهمة فى معركة التحرير ، أو لمجرد الحنين الى عهود ماضية لا ينتظر أن تعود فتخلق على الورق من جديد ، فانها نصوص ترسم بحق ذلك المجتمع الذى عاش قبيل الاستقلال وبعده .

ومن الاسباب الاخرى التى ساعدت على انتظام ظهور القصة جنوح الكتاب الى هذا الفن الذى بواسطته يستطيعون أن يقدموا مضامين تحاكى الواقع وتبنى على منواله عالما أخاذا بحلوه ومره ، بتعاسته وسعادته ، بل انها تعطى نسيجا من التناقضات والاختلافات . حتى تستقيم قطعة فنية تلوح منها جوانب واضحة جلية وتبقى جوانب بعيدة الغور عصية ، وهو لا يكون فى الدراسة أو المقالة اللتين تتسمان بالوضوح وبلوغ القصد والمواجهة . ولا حتى فى القصيدة التى كانت اياها لا تبعد عن المقالة فى صراحتها ومواجهتها خصوصا اذا علمنا ان كتابنا فى ذلك العهد لم يكونوا قصاصا بالتخصص وانما كان بينهم الصحفى ، والاديب الذى يكتب المقالة الاجتماعية والدراسة الادبية ، وكان بينهم كذلك الشاعر والزجال .

ولما كانت القصة فنا مراوغا عسيرا حصر معانيه ومقاصده التجأ اليه بعض الكتاب يجربونه اكتشافا لمواهبهم وسبرا لمدى تمكنهم منه وتهيئهم له أو بدافع الخوف والتقية اذ ان تسريب المعانى التى يظن أصحابها أنها ذات خطر قد يلحقهم يكون أسلم عبر قصة فنية تضمن ايغال تلك المعانى

واغماضها فى تلافيفهـا ، والمضحـك أن هـذه المعانى الثوريـة كمـا يـدعى أصحابها تضيع فعلا ولا يعثر لها على أثر فلا تهتم بها السلطة ولا يهتز لهـا القارىء ، ولكن هذا موضوع آخـــر .

ووجه آخر يبرز اهتمام الكتاب بأدب القصـة ، المسابقات التى كانـت تنظمها اللجان الثقافيـة والاذاعة ضمن برنامج « هـواة الادب » ، وبصفـة خاصة جائزة البندية التى تنظمها بلدية تونس وكانت تحمـل آنذاك اسـم « جائزة على البلهوان » . وبفضل هذه المسابقات ، أمكن أن يتوفر عدد من عدد من كتاب القصة فقد استكتبت المسابقة الكتاب وحثتهم على تناول موضوعات قصصية وحرضتهم على المغامرة وولوج القصة وأغرت اعلانات عدة أقـلام ، فاستجابت وكتبت . وما زال بعضها يبدع . بينما صمتت أقلام أخرى يبدو أنها لا تكتب الا استجابة لنداء جائزة مـا .

وسبب آخر مهم فى ابراز القصة كأدب قائم الذات هو ما شهدته عشرية السنوات الستين من تفتح وتأسيس ثقافى . فقد انصرف جهد المسؤولين الى نعت الهياكل الثقافية والتركيز علـى التجهيز الاساسـى الذى يضمن للثقافة مجالا حيويا يمكن لها فيه أن تترعرع وتبلغ وتؤتى أكلهـا ، فكانت دور الشعب تبنى فى جهات مختلفة بالبلد ، وكانت هذه الدور تحتوى على قاعة للعروض السينمائية والمسرحية وعلى مكتبة وقاعة لممارسة اللعـب الفكرية والانشطة الترفيهية .

وانتظمت بهذه الدور حركـة ثقافية طيبة ونشاط معروف ، الا أن تلـك الدور لم يدم لها نعيمها فسرعان ما بدأ الفتور يدب فى أوصالها وأرجائهـا وأصبحت شيئا فشيئا تستغل لنشاطات أخرى غير ثقافية .

والى جانب دور الشعب ، وقع بعث لجان ثقافية فى الجهات الغرض منها أساسا تنشيط الحركة الثقافية ، الا اننا نعلم كذلـك أن كثيرا مـن هـذه اللجان لم تؤد رسالتها المبتغاة لاسباب يطول ذكرهـا ، أهمهـا أن أعضاء اللجان فى أغلبهم لم تكن لديهم صورة واضحـة عن العمـل الثقافى ويرجع ذلك أساسا لانتسابهم الى مهن بعيدة عـن الثقافـة أو لان تكوينهم العلمى متواضع ، ثم ان بعضهم له طموحات أخرى غير ثقافية .

ووقع التوجه كذلك الى بعث فرق مسرحية ، والى تشجيع الرسم والرسامين والموسيقى ، وتعاضدت مجهودات وزارتي الثقافة والتربية لانجاح « المسرح المدرسي » الذى تألق فى تلك السنوات ، وايمانا بأن الكتاب هو عمدة الثقافة اقتنيت حافلات وجهزت بكتب للمطالعة توصلها الى المواطن فى الريف والقرية ، وكانت تعرف وما زالت بـ « المكتبة المتجولة » .

كل ذلك التأسيس الثقافى ساعد على ابراز الادب واعطائه مكانة فى الصحف التى أصبحت تخصص له صفحات ، وأصبحنا نقرأ القصة فى أغلب اعداد الجرائد والمجلات ، خصوصا فى جريدة « الصباح »و « العمل » وفى مجلة « الفكر » التى ساهمت منذ فجر الاستقلال فى ابراز هذا اللون من الادب ، ذلك أنها المجلة الاكثر حفاظا على احترام مواعيد صدورها كل شهر بالاضافة الى كونها تحتوى على موضوعات يتسم اغلبها بالبحث المتأنى الجاد . و « الفكر » هى التى عرفت بأقلام قصصية سيكون لها شأن بعد انشاء « نادى القصة » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التكوين :

فى السنوات القليلة التى عقبت استقلال تونس ظهرت كما قلت عدة اعمال قصصية ، وبدأ الكتاب يتوجهون الى الكتابة فى هذا الفن بعد ان كان الالتفات الى « القصة » فى النصف الاول من القرن العشرين قصيرا لا يفى بالحاجة ، أيام ان كان الشعر المعبر الافضل عن المشاعر الجياشة والاحاسيس المرهفة والارتجاجات الحماسية نظرا الى ما تفرضه فترة الاستعمار من ردود فعل فورية وعاطفية ، اما وقد زال الاستعمار ، فان المجموعة تتوجه الى البناء واعادة التقييم والاصلاح ، وهى فترة بالامكان ان تساعد على ظهور أدب تأملى . رصين ، يصف ويعلق وينقد ويصلح

وانطلاقا من ذلك التاريخ (أى السنوات التى تلت الاستقلال 56 ـ 62) بدأت المحاولات تتكاثر ، وأصبحنا نقرأ القصة فى الجرائد اليومية والمجلات بتواتر شد الانظار اليها وحدا بالمشرفين على مجلة « الفكر » الى اصدار عدد خاص بالقصو التونسية (« الفكر » ـ السنة الرابعة ، العدد السابع ، أفريل 1959) احتوى على مجموعة من المقالات والقصص ،

وتوجهت المجلة فى هذا العدد الخاص الى الكتاب تدعوهم الى اقتحام باب القصة و « تشجعهم على الكتابة فى القصة التى هى من أصعب فنون الادب والاقبال على مطالعة مؤلفات كبار الروائيين العالميين حتى نوجد التوازن بين الشعر والقصة ونؤدى الرسالة الادبية فى بلادنا على أتم وجه » .

وأوردت فى العدد اللاحق (العدد 8 ـ 1959) نقدا لقصة « افلاس » للبشير خريف المنشورة فى أعداد سابقة بنفس المجلة .

وجاء فى افتتاحية العدد :

« وهذا الاهتمام بالقصة مصدره اقتناعنا بان الادب التونسى لن ينهض ولن يصبح غذاء ممتعا للروح والشعور والذوق معا حتى تحتل القصة منه المكان اللائق بها ، كما هو الشأن فى الآداب العالمية الاخرى » .

« لذا فنحن مع ابتهاجنا بغزارة الشعر وجودته فى بلادنا وتقديرنا لشعرائنا الكبار الذين خدموا الوطن والادب بما سجلوه من روائع الملاحم القومية وايام المغرب العربى الغر نهيب بأدبائنا ليولوا القصة ما تستحقه من عناية ويقبلوا عليها درسا ونقدا ونقلا وانتاجا » .

« ونتوجه بندائنا هذا الى شبابنا الناهض على وجه الخصوص واعدين اياه بانه سيلقى منا كالعادة كل لتشجيع والتقدير » .

وقد أوردت هذا . لا لادلل على أن القصة لم تكن قبل هذا التاريخ متناولة ولا مكتوبة فى تونس ، وانما أوردته مصداقا لما كانت عليه الساحة الادبية آنذاك ولكونه صدى لمناقشات الكتاب التى تبرز بعض همومهم وحيرتهم .

ونستطيع القول بأن سنة 60 شهدت بداية النهضة القصصية فى تونس ذلك أن بلدية العاصمة أسست فى تلك السنة جائزة « على البلهوان » وهى أول جائزة أدبية تختص بتشجيع القصة .

- وأحرزت جائزة البلدية سنة 60 رواية «برق الليل» للبشير خريف.
- وفى سنة 61 أسندت هذه الجائزة الى رشاد الحمزاوى عن روايته « بودودة مات » .

◆ وفـي سنة 62 أحرز الجائزة الكاتبـان : محمد العروسى المطوى عن رواية « حليمة » . وفاتح والى عن روايته « مولد بطل » .

◆ وفى سنة 63 أسندت نفس الجائزة الى محمد العروسى المطوى عـن رواية « التوت المر » ، والى مصطفى الفارسى عن روايته « المنعرج » .

◆ وفى سنـة 65 فاز بالجائزة الاولى محمد المختـار جنات عن روايته « أرجوان » ، وبالجائزة الثانية عبد المجيد عطية عن رواية « المحكوم عليه » التى أصبحت فيما بعد « المنبت » ، وبالجائز الثالثة عثمان بودن عن قصته « فرحة الحياة » .

◆ وفى سنة 66 فاز محمد صالح الجابرى بجائزة على البلهوان لبلديـة العاصمة عن رواية « يوم من أيام زمرا » .

◆ وفى سنة 67 لم تسند الجائزة الى أحد . ومنحت الجائزة المرصودة الى قصص الاطفال .

وعدا ما تقوم به جائزة البلدية من تشجيع على الكتابة القصصيـة ، لـم نلحظ طيلة الفتـرة الممتدة بين 60 ـ 66 أية روايـة تنشر دون أن تكـون الجائزة قبلتهـا .

فى هذه الفترة ، وبالتحديد بين سنتى 60 ـ 64 بدأ بعض كتاب القصـة يلتفون حول بعضهم ويخططون الى تكوين ناد يجمع شملهم ويضمن للقصة نشاطا أوفر وحضورا أبرز .

وحسما لكل الخلافـات حول الشخص الذى كان صاحـب الفكـرة الاول ودعا الى بعث هذا النـادى ، اذ ان بعضهم يصـرح بأنه أبو الفكـرة ، وأن الاجتماع الاول وقع فـى منزله ، فاننا نقر بأن الافكار الاولـى والهواجس والخواطر تضمحـل عندمـا يتجسم النادى واقعـا ماثلا لا مشروعا تحـت الدرس .

تأسس النادى يوم 14 اكتوبر 1964 فى جلسـة التأمـت بمقر « النـادى الثقافى أبو القاسم الشابـى » بالورديـة ، كما ورد علـى حاشيـة الغـلاف الداخلية من العدد الاول لمجلة « قصص » ، « اعطاء كيان للقصة التونسية ، وبلورة همومها ، وتوحيد جهود القصاصين » .

وعقد النادى العزم منـذ انشائه علـى أن تكون له نشريـة خاصة تعنى بالقصة وبشؤونها .

المـراحـــل :

ـ المرحلة الاولى : 64 ـ 66

فى هذه الفترة دأب النادى على أن تكون له جلسة عشية كل سبت ينضم اليها كتاب القصة برئاسة الكاتب محمد العروسى المطوى ، وكان يحضـر هذه لجلسات : البشير خريف ، رشيد الغالى ، حسن نصر ، محمد صالح الجابرى ، عز الدين المـدنى ، يحيى محمد ، عـبد الواحـد ابراهـم ، محمد منصور ، أحمد الهرقام ، وغيرهـــم .

وعشية كل سبت تقرأ قصة أو قصتان قصيرتان يعقبهما نقاش .

ولم يقتصر فى هذه الفترة على قراءة الانتاج ونقده ، بـل كان التفكيـر منصبا على إصدار مجلة ، فكان الاعداد حثيثا لذلك مـن جمع للمادة واتصال بالدار التونسية للنشر التى أخذت على كاهلها مهمة نشر هذه المجلة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ المرحلة الثانيـة : 66 ـ 74

وهذه المرحلة هى أخصب فترة عاشهـا النادى ، فقد شهـدت اللقاءات الاسبوعية عشية كـل سبت حضورا مكثفا على مستوى الكتاب وبلغ عـدد القصص النـى تقرأ حجما كبيرا فلا تمر حصة دون قراءة قصتين أو ثـلاث ومناقشتها ، وكثيرا ما كان يعود بعض الكتاب بأقاصيصهم فى جيوبهم أملا فى أن تقرأ الاسبوع القادم ، حتى أصبح حجز رقم لقراءة قصة فى الجلسـة اللاحقة أمرا ضروريا .

واما النقاش فقد تنـوع ولم يعد يهتم بنقد القصة فقط بـل تعـداه الى الخوض فى قضايا الكتابة وفنيات القصـة والرواية وبسط أدوات القصة ، وكانت موضوعات كثيرة محل نقاش طويل ، من ذلك :

ـ المدارس القصصية ، القصة التقليدية والقصة الحديثة .

ـ معنى الحداثـــة .

ـ القصة التجريبية ، القصة السيكولوجية ، القصة الواقعيـة ، القصة الرمزيـة .

ـ لغة القصـــة .

ـ الســـرد .

ـ المونولوق أو الحوار الداخلى .

ـ استعمال الضمائـــر .

ـ الزمن الواقعى ـ الزمن الروائى .

ـ البطل ـ معنى البطولة .

ـ المضمون ـ الشكل ـ الادوات ـ الاسلوب .

ـ القصة بين الغرب والشرق . الخ ...

ومما يسجل من حسنات فى هذا النادى أن النقد فيه موضوعى بأتم معنى انكلمة لا تشوبه المجاملات فتفقد قيمته ولا يغطيه تحامل يذهب بمعنـاه ، وق ددأب الكتاب الذين يرتادون النـادى علـى مثل هذه الصراحة فرحبت صدورهم لتقبل هذا النقد ، وانطلقت ألسنتهم لتوجيهه لغيرهم عندما يقرأ انتاجـــه .

وقد كان رئيس النادى يكلف عند بداية كل جلسة احد الاعضاء بتدوين ملخص للجلسة يذكر فيـه التاريخ واسماء الحاضريـن والقصة التى تقـرأ والحوار الذى يدور حولها . وبعد نهاية سنتين كـان للنادى سجـل يحوى محاضـر عن الجلسات ونماذج من خطوط مختلفة لاعضاء النـادى الذيـن تداولوا على ذلك السجل فى حصص كثيرة .

ومن المؤسف جـدا أن يضيع السجلان الاولان اللذان يحويان محاضـر عن جلسات السنوات الاولـى (67 ـ 70) . والامـل أن لا تضيع السجـلات التالية لذلك التاريخ .

ومن الطقوس التى دأب عليهـا النادى أنـه يقدم للحاضرين قدحـا من الشاى الاخضر ، الخفيف جدا ، الذى تحسبـه ماء لصفائـه وشفافيته لولا

بعض الاخضرار فى لونه يشعر بأن هذا الماء الساخن مر علـى « حشيش » الشاى مرورا . وليس للحاضريـن أن يطلبوا شيئا آخر غير ذلك الشاى ، فلهم أن يشربوا ان شاؤوا ، ولهم أن يمتنعوا ان أرادوا ، فى صمت .

واما الحوار ، فقد كـان يديره رئيس النادى ، وبهـذا يضمن لكل فـرد راغب فى النقاش حق المشاركة ويحافظ ـ وهو الاهم ـ على هدوء الجلسة ونظامها .

ومـن مميزات النادى كذلك أن المدارس الادبية على اختلافهـا . كانت تتعايش داخله فـى أمن واحترام . فعندما تأسس النادى كان يضم فى الآن نفسه أجيالا متعددة ، ومن المعلوم أن النادى لم يكـن « المدرسـة » التى تتميز بخط فكرى واحد ، ولا التى توجه الى مسار محدد ، وانما كـان مقرا يجمع اليه كتابا مختلفين ذوى اتجاهات مختلفة وثقافات غير منضوية تحت شعار معين .

وفى هذه المرحلة ، التـى نستطيع أن نسميهـا « مـع الدار التونسيـة للنشـر » اذ بواسطة هذه الدار تم نشر مجلة « قصص » ، نشطت الاقلام وبرزت أقلام جديدة واصبح بالامكان أن نحصى عـددا من الكتاب . وحتـى لو لم ينجز النادى شيئا فيكفيـه انه هيأ مكانـا للقاء وساعد علـى تمتيـن الروابط بين كتاب القصة وساهم فى ابراز العديد منهم .

واستطاع فى هـذه المرحلة الخصبة من حياتـه (66 ـ 74) أن ينشـر ثلاثين عددا من مجلة « قصص » وهو ما يعادل ثلاث مائة قصة قصيرة .

وان ينشر فى كتب منفردة خمس عشر مجموعة قصصية ابتداء من 68 . وهى على التوالى :

1 ـ ليالى المطر : لحسـن نصـر
2 ـ خرافـات : لعز الدين المدنـى
3 ـ القنطرة هى الحياة : لمصطفى الفارسـى
4 ـ نداء الفجـر : ليحيى محمـد
5: ـ سهرت منه الليالى : لعلـى الدعاجـى
6 ـ فى الدرب الطويل : لهند عـزوز

7 ـ صلعاء يـا حبيبتى : لعبد القادر بلحاج نصر

8 ـ صخب الصمت : لسمير العيادى

9 ـ الشيـخ كرامـة : للطاهر على عمران

10 ـ وردة ورصاصات : لعبد الرحمن عمار ابن الواحة

11 ـ مشموم الفـل : للبشيـر خريف

12 ـ انه الخريف يا حبيبتى : لمحمد صالح الجابرى

13 ـ نسور وضفادع : للطاهـر قيقة

14 ـ فضـــاء : لمحمود التونسى

15 ـ نداء المستقبل : لفاطمة سليـم

وبالاضافة الى ذلك ، فان النادى اتخذ سنة فى تلك السنوات على عقـد ملتقى فى مفتتح كل موسم ثقافى ، وقد ساعد على عقد تلك الملتقيات مديـر المركز الثقافى الدولى بالحمامات وقد كان آنذاك الاستاذ الطاهر قيقة الذى كان فى نفس الوقت رئيسا للنادى الثقافى « أبو القاسم الشابى » بالوردية الذى ينبثق عنه « نادى القصة » وعقد الملتقى الاول بالحمامات يومى السبت والاحد 12 و 13 سبتمبر 70 . والملتقى الثانى يومى 18 و 19 سبتمبـر 71 ، والثالث فى سبتمبر 72 .

ثم جاءت فترة الركود والاحتياج والاعتماد على الذات بعد ان بدأت الدار التونسية للنشر فى تعطيل صدور المجلة ، وبعد أنأوقفت نشر المجموعات ، فقرر النـادى انطلاقا من العدد 31 من مجلـة « قصص » أن يخوض تجربـة نشر المجلة بامكاناته الخاصة وقد ساعده على ذلك ما لقيه مـن النادى الام ، النادى الثقافى أبو القاسم الشابى » من تشجيع ، فبادر بالتجربة .

ـ المرحلة الثالثة : 76 ـ 84

فى هذه المرحلة توجه النادى الـى تجربة النشر وخطـا الخطوط الاولى معتمدا على تضحية أعضائه الذين يكتبون القصـة دون أجر ينالونـه سوى رضا الضمير للمساهمة فى بناء أدب قصصى فـى هذا البلد ، وقد ساهمـوا

كل حسب استطاعته ، بالعمل الجدى حتى تواكب المجلة الظهور ، فكان الجرى وراء المطابع والتصحيح وترويج الاشتراكات وكتابة العناوين ولف الطرود ، وقد كان التجاوب الذى لقيه من المشتركين خير مشجع له على المواصلة .

فاستطاع أن يواصل العدو ، مع كونه عدوا بلغ الى تضييق الانفاس فى احيان كثيرة واضر بموعد صدور المجلة ، فلم تستطع أن تحافظ على موعدها الفصلى ، ورغم ذلك كله فقد توصل النادى الى اصدار مجموعة أخرى من المجلة وصلت الى حد الآن عدد 66 بدءا من 31 ، وهو رقم يعادل الرقم الذى انجزته فى الفترة السابقة فى مدة تكاد تكون متعادلة .

وأما المجموعات القصصية ، فقد وجد النادى تفهما من الشركة التونسية للتوزيع ووقع الاتفاق على نشر بعض الكتب ابتداء من 73 ، فكانت المجموعات التالية :

- الكراسى المقلوبة : لرضوان الكونى
- ظلال على الارض : لعبد الواحد ابراهم
- لعبة مكعبات الزجاج : لاحمد ممو
- الحلقات الملونة : لمحمد الهادى بن صالح

ثم بادر النادى مرة أخرى الى الاعتماد على امكاناته الخاصة ، وأخذ على عاتقه نشر مجموعة أخرى من الكتب القصصية ضمن « منشورات قصص » وهى :

- أحاديث النسيان : ليحيى محمد (77)
- الوجه الآخر للحكاية : لابراهيم بن مراد (82)
- النفق : لرضوان الكونى (83)
- لا حتى النهاية : لمحمد الخموسى الحناشى (84)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشهد النادى حاليا تحفزا آخر للعمل واستعادة النشاط ، رغم هجرة الكثير من الكتاب له لاسباب مختلفة ، فلم يعد يحضر جلساته : عز الدين المدنى ، حسن نصر . عبد القادر بلحاج نصر ، سمير العيادى ، محمد الصالح الجابرى ، جلول عزونة ، محمد المختار جنات ، مصطفى الفارسى ، أحمد الهرقام ، المختار حداد ، نافلة ذهب ، عروسية النالوتى ، عبد الواحد ابراهم ، يحيى محمد ، ابراهيم بن مراد .

وبحكم البعد ، لم يعد يرتاد النادى كل من : ابراهيم الاسود ، محمد مرسيط ، ومحمود التونسى .

ورغم هجرة هؤلاء للنادى ، فان النادى صمد يقاوم الاندثار ، وعشية كل سبت تضاء القاعة ويفتح بابها أمام كل زائر . تأسيا بقولة المغفور له البشير خريف ، أحد مؤسسى النادى . « يكفى أن تضاء شمعة النادى عشية السبت لنطمئن على ان النور متواصل وأ القصة حية ترزق » .

وليطمئن البشير وهو فى مثواه الى أن النادى يضاء عشية كل سبت لا بشمعة فقط وانما بفوانيس باهرة ، خصوصا بعد أن انضم اليه بالاضافة الى من بقى من الاعضاء القدامى الذين تشبثوا بهذا النادى وأخلصوا له ، مجموعة من الشبان ، كلهم نشاط واخلاص ، يتشوفون الى كتابة قصة أحسن برؤية أفضل ، وأخص بالذكر منهم : أبو بكر العيادى ، يوسف عبد العاطى ، ويوسف سلامة .

وقد ظهرت بوادر النهضة الجديدة فى صلب النادى بعودة الحياة الى جلساته الاسبوعية ، وبمحاولة ادخال تحوير على أبواب المجلة ، وبعقد الملتقى الرابع للنادى الذى تم يومى 21 و 22 سبتمبر 1984 .

(*) هذا الفصل مستخلص من بحث طويل عن القصة فى تونس خلال عشرين سنة ، نأمل أن يصدر فى كتاب أثناء هذه السنة .

حسن نصر :

أغنى الذى سكت

تريدون أن تسمعوا حكايتى ، أن أروى لكم قصتى ، قصتى طويلة وحافلة بالتفاصيل المثيرة .

عشت يا سادة يا كرام ، طوال حياتى ، لا شىء يستهوينى من هذه الدنيا ، كان أبى يملك دكانا يصنع فيه المزامير ، ولم يتهيأ لى أن أصير مثله ، فتهت ضائعا فى الغايات البعيدة ، والسواحل المهجورة ، والمحطات المنعزلة . أمشى فى الطرقات التى لا يسلكها أحد من الناس ، بعد أن مات أبى ، لم أتحمل متاعب العمل ، أحسست بثقله ، فأهملت صنع المزامير ، وأخذت لى مزمارا . رحت أعزف عليه ألحانى الخاصة . لم تكن لى حبيبة أعزف لها ، وربما كانت لى ثم هجرتنى ذات يوم . فتهت ضائعا أعزف للمجهول ، أتنقل عبر المقاهى والحانات أو أقف على قارعة الطريق أعزف وأغنى . فى أغانى يمكنك أن تشتم رائحة الغابات ، وتلاطم أمواج السواحل ، وانتظار المحطات المنعزلة ، وامتداد الطرقات المهجورة .

أغنى وأغنى من غير أن أهتم بالمارين من حولى ، بتعاليقهم وسخريتهم القاسية أحيانا ، لا ألتفت ورائى ، لا ألتفت الى الأطفال وملاحقتهم لى وشقاواتهم، لا اهتم حتى بنفسى .

اذا اخذت فى الغناء والعزف على الناى تأخذنى حالة من الغيبوبة لا أستفيق منها . لا يعنينى من كان يقف حولى، يصغى لألحانى والذين يقذفون النقود تحت أقدامى . والآخرون الذين تأخذهم الدهشة والاعجاب فيتأوهون ويتمايلون ، ويتعرج اللحن ويأخذ أبعادا فلا يملك الواحد نفسه من البكاء أو الضحك أو الرقص وهو يسير فى منعطفاته .

استمر بى الحال وأنا أتنقل ـ يا سادة يا كرام ـ فى غيبوبة من البؤس والعشق ، وأعيش حياتى جوا لا يعزف الالحان ويغنى ، أطوف عبر المدن والقرى

من غير أن أجد حبيبتى التى ربما تكون هجرتنى وربما تكون تحبنى . الى أن انتهى بى التطواف الى مدينتكم هذه . فشربت ماءها وتنفست هواءها وأحببتها بعناد ، وعشت فى تفاهم تام مع الناس ومع نفسى .

لكن الدنيا لا تدوم على حال واحدة ، فسرعان ما قلبت وجهها عنى . وكنت أعيش فيها بيسر من غير أن أعمل حسابا لها . لم اكن أهتم بما يمكن أن يحدث لى فى مستقبل الأيام ، الى أن جاء يوم لم أجد فيه من بقى يستمع الى الحانى أو يطرب لهـا .

أصبح الناس يقابلوننى باللامبالاة . كل شىء ، ولا هـذا . الصمت الـذى يقابلك به الناس ، هذا الجمود الذى تلقاه على وجوههم وفى نظـراتهم ، كنت أملأ الأحياء والأماكن بغنائى وألحانى ، لاننى لا أقوى على فعل شىء آخر ، لكنهم أعرضوا عنى وتجاهلونى . لم اعد اعنى شيئا بالنسبة اليهم . حتى الاطفال ، لم يعد أحد من الأطفال يبالى بى . الى حد أننى أصبحت أشتهى أن أراهم يركضون ورائى ، يقذفوننى بالحجارة ويتعقبوننى الى ما وراء جدران بيتى .

والحق . أنا نفسى . لم أعد أحب غنائى . اغانى أصبحت قديمة ، تثير فى نفسى ذكريات الذل والحقارة . أين أيام عزى ؟ أين عـزفى وغنـائى ؟ لغتى شاخت ، جلابيبى اهترأت واقدامى تشققت . ذهبت أيامى وكسـدت سوقى ، انطفأت شمعتى وانتهت لعبتى . لم يبق لى مكان بينكم ، لم يعد لى حديث معكم ، حديثكم غير حديثى . ولباسكم ليس كلباسى . وغناؤكم لا يشبه غنائى . تبددت كل أحلامى وأيامى المضيئة . أصبحت ناقما على كل شىء ، غاضبا على الدنيا ، ألعن أمها وألعن نفسى ، لاننى عاجز عن كـل فعل ، عاجز حـتى أن أثور على ضعفى وعجـزى .

ثم ينهار المغنى القديم ساقطا من التعب والاعياء . وربما عـن دوار المسافات والحمـى .

حسـن نصـر

ابراهيم الأســـود :

حكـــايـة التنيـــن

خـــرافـة شعبيـة

سألتنى : متى ظهر التنين ببلادنا ؟ .. أليس كذلك ؟ .. لا أذكر بالتحديد يا بنى ؟ .. لا أذكر .. وان كنت أرجح أن ذلك حدث عام الجوع ..

قلت : كيف تؤرخون بالجوع ، والجوع آفة مزمنة ببلادكم ؟ .. سامحك الله يا بنى .. اتسخر من جوعنا ؟ .. حقا إن بلادنا عرفت الكثير من أعوام القحط والجدب والجفاف .. لكن عاما كذلك العام لم تشهده بلادنا .. كان عاما ولا ككل الأعوام يا بنى .. قيل ان مدينة البصرة حين أجتاحها الزنجم ، جاع أهلها حتى أكل الناس أمواتهم .. ونحن حيـن اجتاح أرضنا التنيـن .. أكلنا الأمـوات ، والأحياء .. من جوعنا يا بنى .. من جوعنا .. ألم اقل لك : كان عاما ولا ككل الأعوام ؟ .. لذلك أرجح أن التنين ظهر عام الجوع ..

قلت : كيف ظهر التنين ببلد لا يحده بحر ، ولا يقطعه نهر ؟.. ومن أدرانى يا بنى ؟.. نحن لم نتعلم مثلكم فى المدارس .. ولا نعرف ان كان التنين يعيش فى الماء أو فى السماء .. ومن يدرى ؟ .. لعله تنين برى .. ومـن المؤكد ، أن عائشة لم تعثر على البيضة فى البحر ..

قلت : ما علاقة عائشة بالتنين ؟ .. معك حق .. كان على أن أروى الحكاية من بدايتها .. لكننى خرفت فيما يبـدو .. انها الشيخوخـة أجـارك الله .. ما استهان بها أحد الا أهانته .. يقال : إن فى المدينة دواءا سحريا يعيد الشباب أهذا صحيح ؟ .. لو حدث ذلك يا بنى لكانت بحق معجزة كالتى حدثت ببلادنا عام التنين .. أكان لا بد يا عائشة أن تربى التنين ..

قلت : إنك لم تعرف بعدما علاقة عائشة بالتنين ؟ ..

ومن جلب لنا المتاعب غيرها يا بنى .. ان بلدنا لم يخل يوما من الدراويش لكن دروشة عائشة كانت من طراز آخر .. يقال : انهـا عثرت أثنـاء تجوالها

بالجبل على بيضة هائلة ، أخفتها فى مغارة هناك حتى فقصت ، فخرج منها تنين صغير فى حجم الثعبان .. وعوض أن تقتله فى المهد راحت تحمل اليه الطعام سرا ، وتبالغ فى العناية به ، وكانت تراقب نموه المتزايد بلهفة أم .. مجنونة ولا شك ..

سألتنى : ان كنت أعرف عائشة ؟ ..

ومن لا يعرف عائشة فى زمانها يابنى ؟ .. كانت أجمل بنت فى البلد .. بل فى الناحية كلها .. وكما نجل هذا الجمال ونتبرك به .. قديسة كانت .. لذلك لم يتجرأ أحد على خطبتها .. ومن يسمح لنفسه بتدنيس ذلك الجمال .. ثم اننا فى زماننا لم نكن نتخذ المرأة للمتعة.. المرأة عندنا يا بنى تكدح بالليل والنهار فى الحقل وفى البيت .. أما عائشة فلم تخلق لتكون لرجل ..

★ ★ ★

يوم خرج التنين من المغارة ، وراح يزحف عبر حقول القمح ، لم يكن حجمه يزيد على الثعبان .. كان يلتهم كل ما يعترض سبيله من نبات وحيوان .. وكان ينمو بشكل غريب .. أتى على قطيع من الغنم فى يوم واحد .. وكلما اكل شيئا حوله بقدرة قادر الى خلايا تضاعف من حجمه .. وكلما تضاعف حجمه ازدادت شهيته للأكل .. وحش خرافى أجارك الله .. ما كاد يمر أسبوع حتى صار يضاهى الجبل ضخامة وصلابة .. وكنا نراقب نموه الغريب بدهشة وخوف وعجز .. ولم يكن نموه ليتوقف عند حد على ما يبدو .. وقال حكماؤنا : اذا تواصل نموه على هذا النحو ، سيجتاح الارض بأكملها ، ويشرب البحر .. كانت أياما عصيبة يا بنى ..

ماذا قلت يا بنى ؟.

ماذا قلت يا بنى ؟ .. كيف واجهناه ؟ ..

وهل فى مقدورنا غير المواجهة ؟ .. هاجمناه بالحجارة والعصى .. أقمنا له الحواجز والعراقيل .. لكن عبثا .. لم يكن ليوقف زحفه شىء ..

قلت : ألم تتدخل الحكومة ؟ ..

وماذا بيد الحكومة أن تفعل يا بنى ؟ .. هـى فى المدر ونحـن فى الوبر .. لكنها ـ مع ذلك ـ لم تقصر فى حقنا .. بعثـت الينا بالقمح والشعيـر ، كما انتدبت لنا شيخا يقال ان يده تجمد المـاء .. عسى أن يـوقف زحف التنين بتعاويذه .. كان الرجل متبحرا فى الدين بلا جدال ، لكن تعاويذه لم توقف الوحش ، ولا أوقف الشعير قرصات الجوع فى أمعائنا .. كـان التنين قـوة طاغية لا قبل لأحد بمقاومتها .. لكن الحاجة تخلـق المعجزات كمـا يقولون .. لذلك قررنا أن نأتيه عن طريق الحيلة حين لم تنفع القوة .. واجتمع الرأى على أن نحفر له جبا هائلا نملؤه بالحطب ، لعل النار تأتى عليه .. ونفذنـا الفكرة بحماس .. أيام بلياليها والرجال تحفر وتجمع الحطب .. وحين سقط التنين فى الكمين ، تحـول الجب الى اتون تصاعد لهبه الى السماء .. وكالرعد دوى شخير الوحش قبل أن يتهاوى كجبل ..

ماذا قلت ؟ .. أتسخر منا يا بنى ؟ .. كيف يعقل أن نأكل لحم التنين ؟ .. حتى الكلاب عافته .. أم تريدنا أن نكون أحط من الكلاب ؟ .. النحـل وحده شم رائحة الشواء فأقبل من كل فج عميق .. أسراب من النحل البرى خلفها أسراب خلفها أسراب .. وكثر العسل لدينا حتى لم نعد ندرى اين نخزنه .. وواجهتنا مشكلة جديدة .. ماذا نصنع بالعسل ؟ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلت : أين وجـه المشكلة ؟ .. صبرك عـلى يا بنى .. لا تتعجـل الأمـر ، فحكايتى أوشكت على النهاية .. ولكنها ككل الحكايا فيها من الاحداث ما يدهش الاحداث مثلك .. واقع أغرب من كل خيال .. لكـن مهلا يـا بنى .. أعطنى جرعة ماء استرد بها أنفاسى .. المرض أقعدنى .. والشيخوخة استهلكت منى الروح والجسد .. جدك لم يعد يصلح لشىء .. ولولا الحياء لدفنونى حيا .. هكذا نحن يا بنى .. نحتقر الضعيف ونطأطى ، هاماتنا أمـام القوى .. فـلا تستهن بالشيخوخة ، ولا تسقط الزمن من حسابك ..

كنت أقول كثر العسل لدينا ، لكن المشكلة أننا لا نستطيع استهلاكـه قبل التأكد من صلوحيته .. من أدرانا أنـه ليس مسموما .. ألم يتغـذ النحل من الوحش المسموم ؟ .. ولم يتطوع أحد ليقوم بالتجربة على نفسه .. لكن عائشة تدخلت مرة أخرى وقدمت لنا أقتراحا مدهشا .. أكـان لا بد يـا عائشة أن تفعليهـا ؟ ..

اقترحت علينا أن نجرب العسل على « بريك » الأعمى .. فكرة مدهشة .. كيف لم تخطر على بالنا ؟ .. فبريك لم يكن أعمى ، ولا كسيحا ، ولا أخرس فحسب ، بل كان شيخا متهدما تجاوز المائة بقليل .. فحياته لا نفع فيها وموته لا يعتبر خسارة ..

أجتمع أهل البلد فى الساحة منذ الصباح .. وجىء ببريك فى موكب لم يشهد مثيله أحد .. وبين صياح الصبية وتهليل الرجال وزغردة النسوة ، أجلس بريك على دكة صنعت خصيصا للمناسبة .. وانعقدت ألسنتنا ونحن نتابع المشهد بأعين لا ترمش ..

جىء له بالعسل .. وعوض أن يذوقه مرره على عينيه .. كان مشهدا مدهشا يا بنى .. حدثت المعجزة أمام أعين الجميع .. ما كاد يذوق العسل ، حتى طرأت على جسمه تحولات غريبة .. شعيرات رأسه البيضاء راحت تتساقط ، لينبت محلها شعر فاحم ناعم كريش الغربان .. اختفت التجاعيد من وجهه فجأة .. وتحول فى ومضة الى شاب قوى ووسيم .. هب واقفا كالأسد .. وراح يحدق فى وجوهنا بعينين يشع من حدقتيهما بريق مرعب .. وما ندرى يا ولدى الا ونحن نسجد أمامه .. لكن ماراعنا الا وصوته المدوى يصيح فى وجوهنا :

ـ جبناء .. أردتم التخلص منى بحيلة قذرة كوجوهكم .. أردتم قتلى لتسعدوا بالعسل .. كلا ورب الكعبة .. إنى أطالبكم بدمى .. لابد أن تدفعوا الدية .. ولن أرضى مقابل ذلك إلا بعائشة والعسل ..

لعلك لا تعرف يا بنى أننا فى ذلك العهد ، لم نكن نلجأ للحكومة فى قضايانا كنا نثأر لأنفسنا بأنفسنا .. إن قتلت رجلا ، فاما أن تقتل أو تدفع الدية .. وها هو بريك يطالب بثمن الدم ، فاما أن ندفع له ، أو تحل اللعنة على البلد الى الأبد ..

يوم ظهر التنين ببلادنا قاومناه بضراوة حتى قتل .. لكن الوحش عاد من جديد فى شكل آدمى هذه المرة .. عاد فى صورة بريك .. لكن القليل منا أدرك ذلك .. سأخرج معك فى الصباح يا بنى لأريك الجب الذى حفرناه للتنين .. سيظل دائما أثرا نفتخر به .. وسأريك أيضا مصانع العسل .. انها كلها لبريك أكان لابد يا عائشة أن تربى التنين ؟ ..

ابراهيم الأسود

ابو بكـر العيـــادى :

تــوقيعــات شهــود عيــان

س : ..... ؟

ج : عبد الله ل . من مواليد هذه القرية . لا لم اغادرها .

تلك وصية أبى ومن قبله جدى وجد جدى .. كان يقول لى : « ترك الأرض يا ولدى كفراق حبلى » .. امتزجت الارض بدمه .. يرحمه الله .. احبهــا حتى الالتحام .. هناك من غمرته موجة الاغراء فهاجر .. ولكنه ما لبث أن عاد يأتلق فى عينيه عشق كبير ويعتمل فى صدره شوق عظيم . شوق إلى هذه القرية رغم سحب الملل والسآمة التى تظللها .. يحن إلى السهول المترامية والفضاء الشاسع والوادى وأهازيج النسوة و « اميمتى الزيتونــة » .. الشىء لله يــا « اميمتى الزيتونة » ! .. بركاتك ! .. إنها على بركة عظيمة .. ذات ليلة بينما كان .. عفوا ! عفوا يا سيدى !.. عدونــا فى القرية يا سيدى هو الــوقت .. حيــن تهاجر الخطاطيف وتفتض المحاريث الارض فى عرس بهيج نودعها آمالنا ونظل ننتظر .. ننتظر الصيف كما تنتظر الام الوليــد . ويطول الانتظــار وتمتــد الايام مسربلة بالرتابة .. الليل فى القرية طويل وأطول منه كل نهار يليه . حين تنضح الأبواب بلون الفجر وتتمطى القرية تنفض عنها بقايا أحــلام عالقة بالأهداب ، نمضى الى احواض الخضر نسقيها ونقطع اذرع نبات النجــم التى تخنقها . النجم عدو آخر جاثم على البساتين . القطع وحــده لا يكفى .. يجب استئصال الجذور . فهو يمد الـ .. حاضر ! حاضر يا سيدى .. نحن نتسلل بين الطوابى عائدين فنترامى أمام دكان عبد السلام « العطار » ...

★ ★ ★

س : .... ؟

ج : عبد السلام ك . « عطار » القرية . نعم « عطار » فكلمة تــاجر اكبر منى ومن دكانى البسيط . الربح يكاد يكون معدوما هذه الايام . ليت لى ارضا يــا سيدى. ليت لى أرضا أشق جوفها بيدي هاتين حتى أخرج منها الدرر. أفلحها

من طلوع الشمس الى غروبها . أبيت بها الليل ان لـزم الامر .. ايـه « ربى يعطى الفول للى ما عنده ضروس » . قبل ان تبلغ القطعان المـراعى يغص بهم دكانى .. يلفظهم واحدا تلو آخر فيتكدسون أمامه يلعبون « الخربقة » ويطبخون الشاى فى انتظار العمدة ، عفوا .. حضرة العمدة .. أدام الله بقـاءه . يطـول الانتظار أحيانا فيفترشون حصيرا وتتوالى اطراح « الشكبة » و « الرونـدة » و « البازقة » . ولا يثنيهم عن لعبهم أى شىء . حتى الريح التى كثيرا ما كانت تعبث بالاوراق . تنفر العروق . تتشنج الاعصاب . تعقد الحواجـب . يمـزق بعضهم الورق اذا ما جانبه الحظ .

يطول الوقت فأنضم اليهم أحيانا أشاهـد فرحة الغلبة تحوم بيـن الوجوه لا تكاد تستقر . صحيح أنى أكسب من حضورهم ببيع قليل من الشاى والسكر والفحم والسجائر والكبريت وخاصة حين يصل الع .. حضرة العمدة . يلتفون به . يلازمون الصمت ويسمعون حكاياته بشغف كأنما فيها شفاء لأنفسهم . أنا ايضا اسمع حكاياته ولكنها لا تلهينى عن عملى لان .. آى ! ماذا فعلت يا سيدى؟ ماذا قلت ؟ آى ! آى .. يا سيدى أرجوك . أنا لم أقل شيئا .. أنا أحب حضرة العمدة . أعبده .. ارحمنى يا سيدى .. انـا اب لسبعة أطفـال .. أرجـوك يا سيدى .. حكايات حضرة العمدة ممتعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★ ★ ★

س : .....؟

ج : عبد الواحد ع .. عيناى رأتا النور فى هـذه الربوع . قـرب شجرة التوت الفارعة حيث الخرابة الآن .. طفت البلاد شرقا وغربا ولم أر عمدة مثل عمدتنا ولم أسمع حكاية كحكاياته . حكايات حضرة العمدة طـريفة ممتعة ، رائعة ، عجيبة ..

حين يتصدر مجلسنا ، يجلس هو على كرسى ونتربـع نحن أمامه ، يفتـل شاربيه .. ينفخ صدره .. يشد طرفى برنسه على ركبتيه .. الله ... ه ! الله ! تقول احد الصحابة فى تجلياته .

يتكلم فيخنس كل صوت وتسكن كل حركة . يحكى حكايـات تنفغر لهـا أفواهنا ولا تنبس بغير الاعجاب وتظل عيوننا مشدودة الى لسانه وبؤرتي عينيه

آه لو سمعت حكاياته يا سيدى . تحلق بك فى سماء ذلك الماضى المجيد . حين كنا صغارا لا نفقه شيئا أو لم نكن قد ولدنا بعد أو لم يولد منا غير القليل .. حين كان آباؤنا مستنيمين الى الخمول ، يأكلون ما حضر ويلبسون ما ستر كما يقول . نعم هذا ما يقوله دائما . حين كانوا يفرون من خطم فـار ويرعون مـن طنين بعوضة . اى نعم ! هكذا كان يقول ويعيد حتى نخجل لآبائنا ونحمد الله أن الموت وضع حدا لهذا الباس ، وكفانا التطلع الى وجوههم . وقتها كان يعتلى صهوة جواده ، ذلك الجواد العربى الأصيل أبيض الناصية . رائع حقا . نحن لم نره ولكنه قال : انه رائع فلا شك أنه كذلك . يعتلى صهـوة جواده ويستل سيفـه البتار ويحمل على الكفرة الفجرة ، لا يبقى ولا يذر . قال : إنه نفـخ العزم فى بعض النفوس وصاحبته فى كراته ولكنها ـ كما قال ـ كانت ، تحتمى بظهره عوض أن تحميه . عمدتنا فارس مغوار لا يشق له غبار . لو تسمعه يا سيدى وهو يروى غزواته ومعاركه . خاصة معركة « عين الرمانة » . يا سلام ! مثال فريد للبطولة والفداء .

★ ★ ★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

س : ..... ؟

ج : عبد الرزاق هـ ... تشدنى الى حلقة حضرة العمدة تلك الحكايات التى تشهد بأعماله البطولية الرائعة وبالخصوص معـركة « عين الرمانة » . كثيرا ما كان يعيدها على مسامعنا حتى حفظناها عن ظهر قلب ، الا ترى يا سيدى أنه من الأفضل تسجيلها وحفظها من الاندثار لتكون عبرة للاجيال القادمة وعلامة مضيئة تنير دربهم ؟! لا شك أنك سمعت عن معركة « عين الرمانة » يا سيدى ، من لم يسمع ولم يعش تلك اللحظات المثيـرة . حين تسلـل عمدتنا فى جنح الظلام عبر الآجام والهضاب على رأس نفر ممن قـوى عزمهم بالاحتكـاك به ، لتطويق جيش العدو الذى سيطر على « عين الرمانة » فى محاولة لقطع الماء عن الاهالى . كانت الخطة تقضى بأن يحاصروا جيش العدو فى هجعتـه ويباغتوه قبل أن يدرك سلاحه فيستشرى فى صفوفه الهلع ويتشتت شمله .. أوه ! انا أسف يا سيدى .. أنا أحكى لك عن أشياء تعرفها .. لا ليس لدى ما أضيف ..

★ ★ ★

س : .... ؟

ج : عبد الجليل ب .. التففنا كعادتنا حول حضرة العمدة . قدم لـه عبد الواحد شايا منعنعا ثم وزع علينا عبد السلام « العطار » باشارة مـن حضـرة العمدة حمصا مقليا وحلوى شرع يحكى عن معركة « عين الرمانـة » والحقيقة اننا كنا لا نرغب أن يحكى سواها ، تحدث عـن الخطة والهجـوم المباغـت ، وتوصياته لكل رجاله ليكون الهجوم من كل الجهات ، وفى اللحظـة الموعودة حمل على العدو شاهرا سيفه فاذا به وحيد أمام سيوف العدو . قال الحاسدون : كانوا عشرين رجلا فقط . وقال الثقات : ألف رجل ، ولكن عمدتنا لـم يذكر سوى مائة تواضعا . خذله رجاله ولكنه لم ييأس واستغل المفاجأة والظلام ليلحق بالعدو خسائر جسيمة وكاد يهزمه لو لا ضربة غادرة أجبرته على التراجع .

كان واقفا يكشف عن بقايا جرح تحت الركبة اليمنى حين توقف بمجلسنا رجل غريب ، نحيل الجسم ، طويل اشيب ، يتوكأ على عصا ، رث المظهر ، نظر اليه حضرة العمدة فى ذهول ، ترامت على وجهه صفرة باهتة ، تجمدت حركته رمقنا الغريب ، تراخت الأيدى عندما امتصت بؤرتا عينيه عيـون الحاضرين . حيانا وانصرف فلم نقو على رد تحيته ، رايناه يتجه صوب شجـرة التـوت . يمشى بخطوات وئيدة يشوبها عرج ، متوكئا على عكازه .

كانت تلك اول مرة وآخر مرة نراه فيها ، تابعة حضـرة العمـدة بنظرات غريبة ولم يعد إلى مجلسه ..

لم نعرف عنه شيئا يا سيدى .. ربما يفيدك عبد الوهاب ببعض المعلومات فقد رأيناه يتحدث الى الرجل الغريب . عبد الله قال : إنه رآه يحمل اليه طعاما .

★ ★ ★

س : .... ؟

ج : عبد الوهاب ر .. نعم يا سيدى . أنا من هذه القرية .. لا ! أنا برىء ! أقسم بالله العظيم أنى برىء يا سيدى .. صحيح أنى أخذتـه الى ذلـك المنزل المهجور ، وأتيته بالفراش والغطاء ثم عدت فى الليل أحمل اليه عشاءه .. نعم ؟ لم أغادره الا فى ساعة متأخرة ؟ أجل يا سيدى ، دعاني أن أبقى قربه . سألنى

عن البيت المحاذى لشجرة التوت وبالاحرى الذى كان قرب شجرة التوت ، ثم سألنى عن شيوخ القرية . قال : إنه لم ير غير شبان ، لم أشأ أن أخبـره لأن الامر مخجل ولكنه ألح فقلت له الحقيقة . قلت : إنهم لقوا حتفهم فى كميـن دبره لهم العدو حين خذلوا بطلنا فى معركة « عين الرمانة » وولوا الادبار. بدا كأنه يستعيد ذكرى سحيقة القدم غمغم بكـلام مغضوض ثم قـال : إنه يذكر « عين الرمانة » ويذكر صداما جمعه ورفاقا له بالعدو الغاشم . كان ذلك فى ليلة حالكة السواد . قال : إنهم وضعوا خطة لمداهمة العدو فى خطوطه الامامية. كانت العملية انتحارية لكثرة عدد العدو . ولكن أهمية « العين » فرضت عليه المجازفة . قسموا المهام واستعدوا للحظة الحاسمة إلا أن أحدهم عـز عليه أن يبذل النفس فى حومة القتال فعمد الى جرح رجله تحت الركبة . قـال : إنه كشف خسته . وكاد أحد الرجال يجهز عليه لولاه . تركوه وشأنـه وباغتوا العدو ولكنهم سقطوا أمام كثرته .

قال : إنه وقع فى الأسر وتعرض للتعذيب حتى كاد يفقد رشـده . وحين استعاد حريته ظل هائما يبحث عن بيته وأهله ولم يكن ذلك يسيرا بعد ان غيرت السنون ملامح القرى والمدن والبشر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك هى الحقيقة يا سيدى .. أنا برىء .. قبل أن اغادره قال : إن لـه ابنا يدعى عبد الواحد فوعدته بالبحث عنه . أقسم لـك يا سيـدى .. تلـك هى الحقيقة .. ومن الغد لما جئته بفطور الصباح وجدته ميتا .. ينساب من صدغه وفمه دم متخثر .

* * *

قال متحدث قانونى :

تم سجن عبد الوهاب ر. بتهمة القتل العمد مع سابقية الاضمار . فقد جاء فى تقرير حاكم التحقيق أن السرقة هى الدافع للجريمة .

وبعد عشر سنوات أثار محام هذه القضية واثبت أن الرجل الغريب لم يكن يملك شيئا فأطلق سراح المتهم . وسجلت الجريمة ضد مجهول .

أبو بكـر العيـادي

محمـد الخموسى الحناشى :

وتضيـع الأحـلام فى البحـر

لم يغادر الشقة ذلـك المساء ، وهـو بطبعه نادرا ما يخرج ليـلا تحاشيـا للاصطدام بحملات التفتيش التى كان رجال الشرطة يقومون بها بين الحين والحين ضد الماجرين الأفارقة بحثا عن الذين لا يحملون تصاريح بالاقامة من بينهم. وقبل هذا وبعده فان تلك الليلة هى آخر ليلة له بباريس والواجـب يفرض عليه أن يقضيها صحبة رفاقه . لقد قرر العودة الى أرض الوطن عودة لا رجـوع بعدها . بعد ثلاث سنوات من التمزق والضيـاع عاشها بعيدا عـن الاهل والاحباب . وبالمناسبة أعد الجماعة وليمة صغيرة .. انها احدى المرات القليلة التى يلتفون فيها جميعا على طعام ، وبعد أن فرغوا مـن العشاء مضوا يسمرون وقد تفـرغ أحدهم لاعداد الشاى ، يتحاورون فى هذا الأمر أوذاك ، يستعيدون الذكريات ويروون الحكايات ، ويتناوبون الاشتراك فى لعب الورق وقد فتحوا المذياع على محطة الاذاعة الوطنية التى كانت تنقل حفلا غنائيا ساهرا من المسرح البلدى بالعاصمة .

تحدثوا عن الأهل والبلد ، عـن الشمس والريـف والواحة ، عـن الصيف وعشاياه ولياليه الجميلة ، عن الافراح والعادات والاعياد التى مازالت تطبع حياة الناس هناك وغيرها والتى لن يشعر بأهميتها فى حياتنا وبالمعـانى العميقة السامية التى تنطوى عليها إلا من كابد الاغتراب وتجرع حرارته وكتـب عليه العيش بين قوم لهم أفراحهم وعاداتهم وأعيادهم الخاصة . كم هى مرة الغربة وقاسية !؟ لكن أمر منها وأقسى الغربة داخل حدود الوطن .

لقد تعب محمود بقريته وتعذب كثيرا . هاجر الرجـال الى فرنسا مـن هنا وهناك أفرادا وجماعات . وظل هو صابرا صامدا متشبثا بالبقاء بأرض ابائـه وأجداده لا يروم التحول عنها الى أى مكان رغم سوء حاله وما كان يلقاه من عناء فى معيشته . لكن الواقع كان أعتى منه وأقوى . ولم يستطع أن يقاوم طويلا خاصة بعد أن شاهد أبناء قريته كيف يعودون ومعهم المال والسيارات وأجهزة

الاذاعة والمسجلات الكبيرة والملابس والفرش . يبنون البيوت ويؤثثونها بالموبيليا وبأغلى الرياش ويشترون العقارات والجرارات الفلاحية وهو كما هو « ربنا كما خلقتنا » فهل يبقى ليسف التراب ؟ ..

باع شويهاته واقترض من بعض أقاربه وركب البحر كغيره من عباد الله الى بلاد الثروة والأحلام،فكيف استقبلته فرنسا وهل وجد لديها بغيته ومراده ؟.. إذا كان تعذب ببلاده فقد كان مالقيه بها من عذاب أشد وأقسى ، وها هو اليوم يعود الى ربوع قريته الطيبة بعد ثلاث سنوات لم ينعم خلالها برؤية الاهل والاحبة ولو مرة واحدة . كان كل همه أن يعمل ويعمل وأن يجمع اكبر مبلغ من المال يمكنه بواسطته بناء مسكن مناسب وفتح دكان تجارى محترم يضمن له ولأسرته حياة مستقرة وعيشة راضية ، ويجعله يسير مرفوع الرأس بين قومه ويكسبه احترامهم وتقديرهم ، لكن الامور سارت على غير ما كان يحب ويأمل . فقد لازمه سوء الحظ منذ البداية . كانت فرنسا أيامها تشكو أزمة اقتصادية خانقة ، المصانع بها اضطرت للتخفيض من انتاجها بسبب تقلص حركة التوريد والاستيراد بالسوق العالمية واقتضى ذلك بالضرورة التخفيض من عدد العمال .

حضائر البناء شبه معطلة ، الحكومة هى الاخرى أوقفت العمل بمنح تصاريح الاقامة والتشغيل لكل المقيمين بالتراب الفرنسى بصفة غير شرعية ، وهو منهم . لقد حل بالبلاد سائحا وقوانينهم لا تبيح للسائح الاقامة لديهم الى ما لا نهاية كما لا تجيز له العمل وان لم يتقاض عن عمله اجرا وحتى ان هو وجد عملا لدى شخص أو مؤسسة ما فليس من حقه الانتفاع باجراءات التأمين ضد البطالة وحوادث الشغل والعجز والمرض ، حتى الجماعة من ابناء قريته الذين يقيم معهم كانوا رغم سلامة أوضاعهم القانونية غالبيتهم يعملون أسابيع ليستريحوا أسابيع أخرى يقضونها فى النوم والتسكع والجلوس على أرصفة مقاهى بلفيل العفنة . لقد مرت عليه أيام كالحات ، فكان يخرج صباح كل يوم يضرب فى دروب باريس طولا وعرضا بحثا عن عمل دون طائل . تبخرت النقود القليلة التى جاء بها معه واضطر الى أن يمد يده الى الجماعة يقترض منهم واحدا بعد آخر . وذات يوم . وبعد اشهر من الفراغ والبحث عثر على عمل ليلى باحدى المؤسسات لكنه لسوء حظه لم يستمر به طويلا على اثر زيارة مفاجئة قام بها أحد أعوان مراقبة الشغل للمؤسسة وعاد من جديد يهيم على وجهه فى الشوارع . ومرت أسابيع ووجد عملا بشركة صغيرة لمقاولات البناء . وبحلول فصل الشتاء

الذى يكثر فيه نزول الامطار والثلوج عادة عمدت الشركة ، الى الاستغناء عن عدد كبير من العمال المستجدين بها فكان فى مقدمة من وقع استبعادهم . وهكذا دواليك ثلاث سنوات بطولها وعرضها قضاها على هذا النحو بين العمل والتسكع كان يتقاضى نصف الاجر القانونى الذى يعطى للعمـال العاديين أمثالـه ممن يحملون تصاريح الاقامة والعمل ، حتى فى البلاد التى يقال : إنها شرعت مبادىء حقوق الانسان لا يزال يمارس الاستغلال فيها على ابشع صورة .

وماذا بيد شخص ضعيف مثلا ان يفعل ؟ .. الذنب ليس ذنبهم على آية حال لقد طردناهم من بلادنا وقبل ذلك كنا دائما نردد بأننا لو استرحنا من وجودهم فسوف نجعل من بلادنا جنة خضراء تجرى من تحتها الانهار ينعم الكـل فيها بالعيش الرغد الكريم . فماذا كانت النتيجة ؟ .. وها نحن رغم بعد الشقة بيننا وبينهم نطوى المسافات ونعبر البحار ونخترق الاجواء للحاق بهم نلتمس عونهم واحسانهم ، ونرضى مقابل ذلك صاغرين بأكلهم عرقنا واهانتهم واحتقارهم لنا صباح مساء رغم حرصنا الشديد على طاعتهم وقبولنا لاى عمل يتفضلون به علينا وتفانينا فى القيام به مهما كان شاقا أو حقيرا . والغاص يعدى بالخل كما يقول المثـل .

مر الليل سريعا وان للجميع أن يأووا الى مضاجعهم لينالوا ولـو ساعات معدودة اذ ان عليهم ان ينهضوا قبل الفجر ليعدوا أنفسهم لركوب المترو لكى يلتحقو بمقارات أعمالهم فى الوقت المناسب ، هو أيضا يجب ان يكون بمحطة القطار مع شروق الشمس ، وسأله أحدهم :

ـ يبدو انك لن تعود معك بمتاع كثير . فلم أرلك غير هذه الحقيبة التى سبق أن أطلعتنا على محتوياتها ؟ .. غير معقول أن تقيم بالمهجر كل هذه المدة ثم ترجع الى أهلك بهذه الأشياء المتواضعة .. !

رد عليه محمود قائلا :

ـ لقد فكرت فعلا أن أعود معى بأشياء كثيرة ، ملابس ، مفارش ، أوان وأدوات منزلية الى آخره .. لكننى غيرت رأيى فى آخر لحظة واكتفيـت بشراء بعض الهدايا الرمزية لأفراد اسرتى خاصة ، انى فى حاجة الى كل فرنك ادخرته لانتفع به فى بناء البيت والدكان وتجهيزهما التجهيز المناسب .

قـال آخـر :

ـ الحق معك ، ماذا استفدنا نحن من تلك الحقائب الكبيرة التى نعود بها معنا مثقلة بمختلف الأشياء كل عام ؟ ..

وعاد الاول الى القول :

ـ مهما أهدى الواحد منا وأعطى فسوف يجد فى النهاية أن عدد الغاضبين لاعاتبين أكثر من الراضين الشاكرين ، صدقونى يا جماعة لقد كـان السبب وراء امتناعى عن العودة فى السنة الماضية يرجع اساسا الى هذا الأمر . آه لو يعلمون كـم نشقى ونقاسى من أجـل أن نصـل الى جمع تلـك المبالغ التى يستكثرونها علينا ويعدونها ثروة لأعذرونا ولمـا طالبونا بما هو فوق طاقتنا ولقنعوا منا بهدية بسيطة لا تكلفنا شيئا كثيرا .

لقد أصبح الواحد منا يحتار فى اختيار نوع الهدية التى يجب أن يقدمها ولمن لاخوته ، لزوجاتهم لذريتهم ، لأسر أعمامه واخواله ، لعماته أم لخالاته ؟.. أم للأصهار والأقارب الاباعد ام للاجوار والاصدقاء ؟ .. لمن ؟ .. لمن ؟ .. حتى أولائك الذين لا تربطنا بهم صلة ما وجاؤوا مع هذا أو ذاك للسلام علينا هم أيضا ينتظرون منا أن نقدم لهم أى شىء علبة تبغ ، مجموعة أمواس حلاقة ، وكثيرا ما نضطر للرجوع الى تلك الاشياء التى كنا خصصنا بهـا أنفسنـا وأسرنـا فنفرقها بين الناس لنحظى برضاهم عنا ونأمن شر ألسنتهم الحادة ، شىء غير معقول ولا يحتمل .

تنهد أحدهم وهمس من تحت الغطاء فى استسلام بصوت بدأ يخالطه النعاس

ـ تلك هى عاداتنا ، ماذا نفعل . تصبحون على خير .

ويغمر الحجـرة الظـلام ويسـود الصمت وإن هى الا لحظـات حتى كـان الجميـع يغطـون فى النـوم . وعندمـا رن منبـه السـاعـة رنينـا قـويـا متواصلا . كان الظـلام مـا زال ينتشر بالمكـان فيستيقظ الجميع ويشرعون فى مغـادرة أسـرتهم ثـم تحلقـوا حـول المـائدة الصغيـرة التى تتـوسط الحجـرة يتناولون طعام الافطار ويثرثرون ويحملون محمـودا مجـددا نقـل تحياتهم ووصاياهم الى أهلهم وذويهم بعد أن سلموه بعض الهدايا ليحملها اليهم وما ان انفضوا من حول المائدة حتى تناول كل واحد حقيبته التى تشبـه تلك الحقائب التى تعودنا أن نرى رجال التعليم يحملونها عادة ووضع بهـا الآنية

الحاوية لوجبة الغداء . ثم غادروا الشقة دفعة واحدة . ومضوا يضربون فى دروب المدينة باتجاه محطة المترو .

سار محمود بدوره حاملا حقيبته على كتفه وعند أحـد الشوارع الرئيسيـة الكبرى توقف وانزل الحقيبة من على كتفه ووضعها قريبا منه عـلى الرصيف . ومكث ينتظر مرور احدى سيارات الاجرة . وما ان استقر داخل سيارة الاجرة حتى التفت اليه السائق قائلا :

ـ ڤـاردى لويست .

انطلقت السيارة تطوى بهما الطريق . كان السائق مغربيا حل بفرنسا منذ عشر سنوات خلت أو تزيد قليلا ، يقيم باحدى ضـواحى العاصمة بشقـة صغيرة وحيدا . وبرغم ما يلقاه من نصب ومشقة فى حياته لم يفكر فى احضار أسرته من وجدة لتقاسمه حياته بالمهجر . انـه يخشى عـلى أبنائه الانحـراف والزيغ والذوبان فـى المجتمع الفرنسى ، وقاسى الأمرين قبـل أن يتمكن من احرازه الوثائق التى تخول له حق الاقامة والعمل وعانى أكثـر قبـل أن يظفر بشغل ثابت مريح ومربح ، ومنذ ثلاث سنوات جاءه أحد مواطنيه وأخبره بأن يهوديا من أصل تونسى يمتلك سيارة أجرة يبحث عن سائق تونسى أو مغربى ليعمل عليها بالمناب ، وصحبه اليه وتباحثا فى طريقـة العمـل وفى النسبـة المئوية الراجعة اليه ، وفى الراحة الاسبوعية ، وفى كل التفاصيـل وبعد أخذ ورد اتفقا وحررا وثيقة بينهما بذلك ، ومنذ ذلك اليوم وهو يعمل معه وكل شىء بينهما على ما يرام .

ويتنهد السائق من الاعماق ثم يتابع يقول :

ـ اننا نكرههم أو هذا ما نحاول اقناع أنفسنا به على الاقل لكننا مع ذلك لم نستطع أن نستغنى عنهم وماذا بيد الضعيف المعسر المضطر أن يفعل ؟ . .

قال محمـود :

ـ انها الحقيقة المرة للأسف الشديد .

وتتوقف السيارة أمام محطة القطار فنقد السائق وودعه وحمل حقيبته ومضى يصعد الدرجات المؤدية الى داخل المبنى الكبير . وأمام نافذة بيع التذاكر وجد

طابورا طويلا من الرجال والنساء فأخذ مكانه فيه ومضى يتقدم الى الامام قليلا قليلا الى أن جاء دوره فاقتطع تذكرة وسار وسط الجموع الغفيرة التى يعج بها المكان ، بين جالس وواقف وسائر بهذا الاتجاه أو ذاك وداخل الى المحطة ومغادر لهـا . ولقيه أحد أعوان المحطة فسأله عن القطار المتجه الى مرسيليا فدله عليه حاثا اياه على الاسراع فالقطار على وشك الانطلاق ، صعد الى العربـة المعينة له بتذكرة السفر وبحث عن مقعده ، وضع الحقيبة بالرف المخصص لحمل الامتعة فى مواجهته وجلس بعد أن تخفف من معطفه وقـد غمـره شعـور بالـراحة والسكينة . لقد بدأت رحلة العودة ...

ويتحرك القطار .. مضى يتطلع من النافذة الى معالم المدينة وهى تتوالى أمام ناظريه وتختفى بصورة سريعة مشوشة على غرار المشاهد التى تتراءى لنا فى الاحلام وشعر بالنوم يهجم عليه بكل ثقله فاستسلم دون مقاومة ليستيقظ بعد حين . وهكذا قضى الرحلة بين يقظة ومنام ، كانت رحلة طويلة مرهقة بعض الشىء . واخيرا بلغ القطار مرسيليا وما ان ترجل من الغربة حتى لمح عبد السلام ابن خالته واقفا بانتظاره فتقدم أحدهما من الآخر وتعانقا فى حرارة وشوق ..

لقد مضى على آخر لقاء جمع بينهما سنة ونصف تقريبا وكان ذلك بباريس يوم ذهب عبد السلام لاستقبال ابيه الذى كان دعاه الى القدوم الى فرنسا لاجراء فحوص طبية على عينيه المصابتين بالتهاب مزمن قديم

ثم غادرا المحطة . وظل عبد السلام يسأل ومحمود يجيب اسئلـة كثيرة متلاحقة عن الصحة وظروف العمل ، عن الأقرب والأباب للذين تـركهم وراءه بباريس عن أسباب عودته فى ذلك الفصل من السنـة ؟ و .. و .. أسئلـة عديدة تتطلب الاجابة عنها جلسة خاصة .

أوقفا سيارة أجرة ركباها باتجاه منطقة الميناء حيث يقيم عبـد السـلام وزميل له بأحد الأحياء الشعبية القديمة هنـاك وبمفتـرق الطرقـات أمـر عبد السلام السائق بالتوقف . وسارا بدروب ملتوية ضيقة . وأمام باب حديدى صغير انتهى بهما المسير .

عالج عبد السلام الباب ففتحه ثم خطا الى الداخل قائلا لمحمود :

ـ تفضل .. ادخل البيت بيتك .

على أصداء لغطهما جاء الطاهر زميل عبد السلام الذى كان منهمكا فى اعداد العشاء ، رحب بالضيف واعتذر له لاضطراره الى التغيب بالمطبخ بعض الوقت

وان هى إلا لحظات حتى كان العشاء جاهزا على المائدة وجلس ثلاثتهم يأكلون فى جو تغمره الضحكات والمداعبات . ومضوا يسترجعون الماضى ويستعرضون الحاضر ويحاولون استشراف آفاق المستقبل الى أن آذن الليل بالانتصاف . فى ضحى الغد رافق عبد السلام محمود الى الميناء ولحسن الحظ كان لا يعمل صباح ذلك اليوم . ولما حان الوقت ليمر محمود أمام رجال القمارق وأعوان شرطة الميناء ودعه داعيا له بسلامة الوصول الى أرض الوطن .

وما ان اطلع أعوان الشرطة والقمارق على وضعيته غير القانونية خاصة فيما يتعلق بأمر اقامته بفرنسا حتى أخذوه جانبا وشرعوا فى التحقيق معه . وسألوه إن كان يحمل معه مالا فأخبرهم بان كل ما فى حوزته لا يتعدى بضعة آلاف من الفرنكات لا غير . لم يقتنعوا بقوله . ثلاث سنوات كاملة قضاها بلادهم ثم يغادرها فى النهاية صفر اليدين ، أمر لا يصدق وغير معقول بالمرة ، وفتشوه فلم يعثروا معه على أى شىء غير المبلغ الذى سبق أن أقر بوجوده لديه منذ البداية ، ولم يجدوا أمامهم آخر الأمر سوى اخلاء سبيله والاذن له بالمرور ، ومباشرة اتجه مع عشرات من المسافرين الذين كان أغلبهم من العمال التونسيين نحو الباخرة الراسية غير بعيد . سامح الله والدته فلولاها لكان أخذ الطائرة من باريس ولاستراح من كل هذا العناء ، فى قدومه الى فرنسا ركب البحر وها هو اليوم يغادرها بنفس الطريقة . لقد اقسمت عليه بألا يركب الطائرة فهو بكرها وكل أملها معلق عليه وقد ـ سبقت فيه المحبة ـ كما تقول. الطائرة غير مأمونة العاقبة وها هى الأنباء تردنا من وقت لآخر بسقوط احدى الطائرات بهذا المكان أو ذاك من العالم بعكس الباخرة فلا خوف منها ولا ضرر . ماذا يفعل طاعة الوالدين أمر واجب .

صعد الى الباخرة واتجه رأسا الى الدرجة الأولى فما دام لن يركب الطائرة فيجب أن يحرم نفسه . التحق بالقمرة المخصصة لاقامته وضع الحقيبة هناك ثم توجه الى المشرب فيطلب قهوة « مصفاة » اشعل لفافة ـ فيليب موريس ـ وجلس يدخن ويترشف القهوة فى متعة وأناة وقد سرح به الفكر بعيدا . وشعر بيد تلامس كتفه من لطف فجفل والتفت خلفه مستطلعا وما ان استقر نظره على صاحب تلك اليد حتى انتصب واقفا هاتفا فى دهشة ممزوجة بالفرح :

ـ من .. بلقاسم ؟ .. أهلا بصديق العمر ، أهلا .. أهلا وتعانق فى حرارة ومودة .

قال بلقاسم سائلا صديقه :

ـ أين كنت كل هذه المدة ؟ .. لقد علمت أنك تقيم بباريس .. لم أرك منذ غادرت القرية ، يعنى منذ .. منذ .

ـ ثلاث سنـــوات .

ـ حقاكم تسرع بنا الأيام ونحن عنها غافلون ، ثـلاث سنوات مـرت كأنها الأمس القريب . هل تعلم كم مضى على الآن بهذه البلاد ؟ .. عشـــر سنـــوات كاملة قضيتها متنقلا بين باريس وبوردو ، ونيس وأخيرا استقـر بى المقـام بمدينة مرسيليا ، رغم كل هذه الأعوام الطويلة مازلت أذكر حتى هذه اللحظة اليوم الاول الذى تركت فيه ربوع الوطن الحبيب .

وسمعا أحد نوتية الباخرة يقول لزميل له إن الباخرة بصدد مغادرة الميناء .

ووجد محمود نفسه يمسك بيد صديقه وهو يقول له :

ـ هيا بنا نصعد الى السطح لنرى المدينة والميناء من عل .. ومن يدرى فقد لا تسمح لى الظروف برؤية هذا المشهد مرة أخرى .

لم يعترض بلقاسم على رغبة صديقه وسار يتبعه متسائلا :

ـ ماذا يعنى ؟.. لعلك لن تركب البحر بعد اليوم . أم تراك تنوى البقـاء بالبلـد ؟..

ـ نعم ليس فى نيتى الرجوع . إنك أعرف الناس بالحال التى صرت إليها بهـذه البـلاد .

ـ معك حق ، لقد صارت حياتنا هنا لا تطاق . أنا أيضا أفكر جديـا فى العودة نهائيا مثلك فى موفى هذه السنة .

ـ يقول المثل « الحر من غمزة » لقد اصبحوا يضيقون بوجودنـا ويطلبـون خروجنا بالحاح متزايد ، لم يبق لنا بقاء معهم ، انى شخصيا لا اطلب من الله الا الستر وألا أكون فى حاجة لأحد ، واعتقد اننى جمعت ما فيـه النصيـب ، ولا مطمح لى بأن أصبح من الأثرياء فى يوم من الأيام .

مضت السفينة تنزلق على صفحة الميـاه الزرقاء فى تؤدة حتى ليخيـل إليك انها راسية مكانها لا تتحرك ، البحر ساكن ، الطقس هادىء لطيف انه الربيع . والمناخ بمرسيليا معروف بانه لا يختلف كثيرا عنه بتونس عـلى امتداد فصول السنة . كانت رحلة ممتعة حقا . وكان محمود راضيا عنها كل الرضا . يكفى أنها جمعته بصديق الطفولة والشباب بعد طول غياب . لقد أنساه وجود عـبد

السلام معه قلقه واكتئابه بعد التحقيق والتفتيش الذى تعرض له فى الميناء . الملاعين لقد أخذوا كل المال الذى عثروا عليه معه الا فرنكات قليلة تركوها له كمصروف جيب . ولم يكتف أحدهم بذلك بل أراد مصادرة الحقيبة بما تحويه لولا تدخل بعض رفاقه واقناعهم اياه بتركها له.ومرت الساعات ومضت المسافة بين أرض الغربة وأرض الوطن تقصر شيئا فشيئا ، انهم يقتربون من اليابسة ، الرحلة أوشكت على نهايتها . صعد محمود وعبد السلام وآخرون الى ظهر السفينة يشدهم الشوق والحنين الى الوطن الحبيب . وأخذت معالم ضاحية حلق الوادى تلوح لهم من بعيد ، ويدنو عبد السلام من محمود ويقول له مؤنبا :

ـ بعد حين سوف نحل ببلدنا وبين أهلنا ولا يعقل أن تدخل البلاد وعلى رأسك هذه الخرقة القذرة ، هناك شىء وهنا شىء آخر كما تعلم .

وبسرعة خاطفة مديده وانتزع من على رأس صديقه القبعة التى كان يضعها عليه وألقى بها فى البحر .

وتباغت المفاجأة محمودا ، وفى حركة لا شعورية يمسك بالحاجز الحديدى الذى كان يقف أمامه يروم تسلقه والقفز منه الى البحر ، لكن عبد السلام تفطن الى نيته فحال دونه وما يريد فى الوقت المناسب قائلا له فى غضب وانفعال :

ـ ماذا دهاك .. هل جننت ؟ .. أمن أجل خرقة تافهة تريد أن تورد نفسك موارد الهلاك ؟ .. أمرك غريب حقا ماذا يعجبك فيها ؟..

لم يرد محمود عليه بكلمة وظل واقفا مكانه فى جمود وقد تصلبت أصابعه على قضيب الحاجز كأنه أصيب بالتشنج ، نظره معلق بالقبعة التى كانت تتقاذفها الأمواج المتولدة عن حركة سير السفينة ، ثم سرعان ما جرفها التيار واختفت .

أظلمت الدنيا فى عينيه وانتابه احساس بالدوار وتهاوى على سطح السفينة فى انهيار مستندا بظهره الى الحاجز الحديدى مغمغا فى ألم مكبوت :

« لماذا يا عبد السلام ؟ .. لماذا ؟ .. »

بينما وقف عبد السلام يتطلع اليه فى دهشة وتساؤل واستغراب جاهلا انه ألقى فى أعماق البحر بحصاد ثلاث سنوات من الغربة والعرق والعذاب وبأحلى الاحلام والامانى التى لم يكن حتى صاحبها يتصور بأنها ستضيع منه فى نهاية المطاف بعرض البحر فى لحظة بمشية عابرة .

قابس نوفمبر 1984 **محمد الخموشي الحناشي**

عمـر الامـــام :

حليمـــة :
من الملحمة العاطفية الى الملحمة السياسية

لقد أصبحت « حليمة » أثرا أدبيا من بين الآثار التى تهتم بما فى الشخصية التونسية من أبعاد حضارية ووطنيـة منطلقها واقع الشعـب ولغته وتصوراته وتطلعاته نحو آمال فسيحة فى فترة زمنية معينة ، كما أصبـح صاحبها رمـزا للاتجاه الوطنى الملتزم بروح الشعب الحميمة ومعبرا عنها فى أسلـوب معاصر عبر قناته الفنية فينتج عن كل ذلك أدب قصة واقعى سياسى منجذر فى أرضنا الطيبة لم يقع فيه الغموض واللجوء الى التعمية الفنية ، فكانت الأدوات واضحة الاستعمال والغرض المقصود مجسما فى أشكال متسقة . وشـأن القارىء هنا تتبع الأحداث وفك الألغاز . ولنقل فى ايجاز : ان ركيزة العمل الفنى « أساسها حسن الترتيب بين الأحداث على وجه يقبله العقل ويستسيغـه الفكـر . أمـا ركيزة النقد فتكمن فى تتبع النقد أكثر مما تكمن فى جعل القارىء حائرا باحثا خلاقا . ولتصرح بأن هذا العمل الادبى واقعى سياسى شعبى أصيل ينبع من موقف شعب مطل على عهد جديد .

وليس من المبالغة فى شىء اذا اعتبرنا هذا الأثر الأدبى قد أصبح من الاعمال الكلاسيكية للانتاج الأدبى فى تونس ، يكاد يكون كل شاب قد اطلع عليه فى المدرسة سواء كان ذلك فى المرحلة الاولى أو الثانية . وعلى هذا الاساس تكون « حليمة » قد جسمت الجناح الأدبى للاتجاه السياسى فى البلاد . ويكون من المفيد فى هذا الصدد التعريف ببعض الأسس الفنية التى قامت عليها هـذه القصة حتى تحدد الحلقة التى نضعها فيها وضعا صحيحا فى سلسلة التطورات فى الأدب التونسى الحديث .

إن محاور الاهتمام متنوعة فى هذه القصة . ولكننا آثرنا النظـر فى مفهوم البطولة باستقراء أهم الأحداث والوقوف على منطقها لنربط بينها وبين الشخصية الرئيسية ذلك أن الشخصية أيا كان نوع الأدب الـذى توجد فيـه انمـا هى مجموعة من العلاقات بها تتحدد معالمها واعتمادا عليها نعرف توجهاتها .

1 ـ حليمـة المتازمـة نفسانيـا :

إن المتتبع للبناء القصصى فى « حليمة » يجده محكما بل منطقيا جعله محمد العروسى المطوى مقاما على معادلة فى عدد الفصـول بين الأزمـات ، فالفصـول الستة الأولى تكون وحدة والفصول الستة الأخيرة تكون وحـدة ويتوسطهمـا الفصل السابع الذى انتهت فى بدايته الأزمـة الأولى وبدأت تلوح فى آخـره ملامح الأزمة الثانيـة .

ان هذه القصة مبنية على نوعين من الأزمات الأولى نفسية اجتماعية والثانية سياسية طبعت بميسم الوطنية الملتزمة .

وكانت حليمة تحمل عبر تطورها هاتين الأزمتين . وهى على هذا الاساس الشخصية الرئيسية تسير كافة الشخصيات فى فلكها وكـل ما عداها يعرف بحسبها كما وكيفا .

إن أول صورة تجسمت فيها شخصية حليمة تغلب عليها مسحة من الحزن فأمها تقول متحدثة عنها : « ابنتى حليمة .. يا لها من من مسكينة » (I) وتنام حليمة بعد ذلك على فخذ أمها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا تكاد الفصول تتقدم بنا حتى تتحدد لنا بداية الأزمة الأولى متمثلـة فى اللغز الذى حير حليمة حيرة لا حد لها وأبكاها فحطمها . وهذا اللغز هو نعتها بابنة السارق جعلها تشعر أمام تعيير سعاد لها بالخزى فقالت : « ويـلى من الشقية سعاد .. لقد حطمتنى فما أستطيع رفع رأسى بعد اليوم » (2) .

وكان محمد العروسى المطوى يعمد الى تصوير هذا اللغز بوسائل مختلفة بل الى تضخيمه فتارة يستعمل الرجوع الى الوراء ويتمثل ذلك فى العريف بمصدر هذا اللغز (3) وطورا الى التحليل النفسانى ، كما يلجأ فى أغلـب الاحيان الى

(I) حليمـة ص 9 .
(2) حليمـة ص 20 .
(3) انظر بدايـة الفصل III .
(4) حليمـة ص 25 .

وصف حليمة نفسيا وجسميا فتراها : « عصبية المزاج مرهقة الاحساس غيورة لا تقدر بسهولة على كبح حمامها » (4) وتكون نتيجة لهذا الاتساق الفنى صورة الحليمة قاتمة تبدو فيها ثائرة على الواقع بكل أشكاله عاملة على كشف المجهول مؤمنة بقيم لا وجود لها فى الحياة الماثلة أمامهـا . وتكون عـلى هـذا الاساس علاقتها بالواقع علاقة تقابلية تجسم معنى البطولة فى بعدها المأسوى .

أما الصورة الثانية فملحمية تبدو فيها حليمـة « أكثـر بهجـة وأسـرع استجابة .. » (5) لنوع الواقع . ونلمس ذلك فى مشهد الحصادين فى الحقول تقدم حليمة إليهم باقات جميلة من الزهور وتميل ميلا لاحد له للأرملة الفقيرة سالمـة (6) .

وهكذا يكون محمد العروسى المطوى قد جمع فى شخصية حليمة النقيضين : الوجه المأساوى والوجه الملحمى الا أن الجانب القاتم قـد تغلب عـلى الجانب المشرق فيها . وأروع ما يمثـل .

طغيان الجانب الأول القول الوارد على لسان أم حليمة :

الجـرح يبـرى يـا صبـره وتبـرد عليـه الضميـدة
وكلمـة السـو يـا صبـره تصبـح وتمسـى جديـدة (7)

وكان هذا الاستشهاد تعبيرا عن عجز الأم أمـام شيـخ التراب وعن فشل التمرد فى وجه الاستعمار فشلا مقيتا فالزوج كان رافضا للواقـع المر فيقول متحدثا عن المعمرين « أنـذال ! لصوص انها أرضنا اغتصبوها بخسـة ونذالة آه ! آه ! لو تمكننى الاقدار من الانتقام !! (8) ولكنه مات فى نهاية الأمر بما فى الواقع من مشاكل .

---

(5) حليمـة ص 30 .
(6) حليمـة ص 42 – 43 .
(7) حليمـة ص 50 .
(8) حليمـة ص 33 .

وينتهى الفصل الأخير (السادس) من المرحلة الأولى بـأن « ارتفع صوتهـا بالبكاء وابتل حجرها دموعا » (9) .

وعلى هذا الأساس حل اللغز فعرفت حليمة سر وفاة أبيهـا . إلا أن هـذه المعرفة كانت قمة الوجه القاتم المفزع . وهذا مما يجعل القـارىء يتساءل عـن مصير حليمة بعد ذلك .

II الزواج : أو من الأزمة النفسية الى الأزمة السياسية :

إن أزمة حليمة فى الفصول الستة الأولى نفسانية ، اجتماعية أساسا انتهت بمأساة الأب الرافض لنظام الاستعمار والدافع لثمن ذلك الرفض بضريبة الدم وضريبة الغيظ . أما ضريبة الدم فكانت نتيجة طلقة الرصاص . وأما ضريبة الغيظ أو ضريبة القهر النفسانى فكان بنو جلدته سببه لأن هذا الأب ما مات إلا لان الحنق « أخذ منه مأخذه فأصيب بالحمى الراجعة فقضت عليه بعد نصف شهر من عودته من المستشفى » (IO) .

لقد كانت ثورة الأب على الواقع فاشلة وهى الى التمرد أقرب منها الى الثورة فى معناها الصحيح ، لأن الظروف لم تتح لها النجاح ، أما شأن حليمة مع الثورة فآخر منطلقها حسب القصـة نفسانى أساسا نتيجـة اتصافها بهـذا القلـق المسترسل . ومهما يكن من أمر فان الفصل السابع قد وضع فيه محمد العروسى المطوى حدا لهذا النوع من القلق وبدأ يمهد فيه الى نوع جديد من الحيرة تختلف كما وكيفا عن القلق الأول . انها التحول مـن الجانب الوجـدانى الفياض غير الخاضع للعقل الى الجانب المفكر الرصين . وتجسم الحل فى الـزواج من عبد الحميد . وهذا الزواج يعتبر بمثابة الحل العاطفى لمشكل نفسانى وهو فى حد ذاته منطقى فى سير الأحداث الا أننا نلاحظ أن الانبتات من أهم صفات حليمة فى هذه المرحلة فهى التى عزفت عزوفا كاملا عن القرية بكل ما ترمز اليـه من معان فتقول : « القرية : ماذا عندك فيها ؟ أبى تحت التراب من سنين .. وما هى المكاسب العزيزة لدينا ؟ عشر نخلات .. منـزل خـرب ..» (II) وهى التى

---

(9) حليمـة ص 50 .
(IO) حليمـة ص 49 .
(II) حليمـة ص 55 .

تصف حلتها قبل هذا الفصل وترفض تلك الحالة فى آن واحد فتقـول « أنا لم أتكلم قبل اليوم » (I2) وهى التى تتطور بها الحال الى حـد التوتر فالمواجهة فالرفض فتقول مخاطبة أمها فى لهجة شديدة « ماذا تريدين منى ؟ .. (I3) .

وهكذا يكون محمد العروسى المطوى فى هذا الفصل قد وضع حدا لمرحلة من مراحل التطور فى شخصية حليمة وجعل الانبتات رمـزا لامحاء هـذه المرحلة واعتبر أن قضية حليمة قضية كلام (I4) أى قضية التعبير عن حقيقتها تعبيرا ايجابيا يختلف عن صمتها طوال المرحلة الأولى مـن حياتها ، واتجـه محمـد العروسى المطوى بعد ذلك الى السرد فلخص الأحداث وظهرت الموافقة على الزواج كمظهر أول من مظاهر التعبير عن ارادة حليمة .

وعلى هذا الأساس تكون منزلة الفصل السابع فى تطور شخصيـة حليمـة كتلك اللحظة التى يكون فيها الانسان فى مفترق طرق فأى الطرق يتبعه تتحدد به حياته . وفى هذا الفصل عشنا تلك اللحظة وعرفنا ذلك الاختيار فما عساه يكون فيما بعـد ؟

III **النصـر : أو من الازمة السياسية الى النصـر :**

يمكن أن ننعت حليمة فى بداية هذه المرحلة بكونها شخصية متطورة ذلك أن القضايا النفسية وضع لها حد . ومرت بعد ذلك الى نوع جديد من الحيـاة : كانت صامتة سلبية لا تؤثـر فى الاحداث وأصبحـت ذات ارادة قـررت بهـا مصيرها . إلا أن مفعول تلك المؤثرات النفسانية لم يزل إلا فى الفصـل الثامن فقد شعرت بالغربة رغم رغبتها الملحة فى الانتقال الى تونس والزواج مـن عبد الحميد . وتساءلت عن أبيها قائلة : « الله يرحمك يا بابا .. لـو كنت موجودا هـل سيكـون مصيـرى بتونس ؟ .. هـل كنـت تقبل زواجـى مـن عـبد الحميد ؟ .. » (I5) .

ونحن نعتقد أن جذور القضايا النفسانية قد زالت أو كادت تزول بموت الأم (ونقصد بالقضايا النفسانيـة كـل خصائص حليمـة فى مرحلتهـا الأولى فى

(I2) حليمة ص 55 .
(I3) حليمـة ص 55 .
(I4) نفهم هذا من القول الوارد تحت رقم (I2) .
(I5) حليمـة ص 68 .

القرية ..) فى الفصل الثامن . أما الشواغل بعد ذلك فى شخصية حليمة فقد تغيرت واتخذت طريقها نحو المسائل السياسية .

وقد تبلورت شخصية حليمة فى غضون هذه المرحلة تبلورا واضحا جسمه المطوى فى وعيها السياسى المتطور تطورا عديا من مجرد الانضباط للأوامر الى المشاركة الهامة فى أعمال العصابات الى العمل السياسى الواعى الموجه للجماهير وتكون حليمة بهذا المنظار قد مرت من المرحلة الايجابية البسيطة المتمثلة فى تطبيق الأوامر الى المرحلة الايجابية الواعية الكامنة فى جعل الشخصيات فى خدمتها .

1) المرحلة الأولى : من العفوية الى العمل الايجابى :

اتسمت شخصية حليمة فى بداية عملها الايجابى بالقلق لم تتخلص فيه بعد من أزماتها النفسية الماضية فهى تبحث عن رضى عبد الحميد ولكنها تحمل بين جنبيها عقدة الأخذ بالثأر . فتقول : « لقد كاشفت عبد الحميد بأننى أولى من غيرى بمقاومة المستعمر الدخيل ألم يذهب أبى ضحية ؟ ألم تلفق ضده التهم الباطلة ؟ (16) الا أنها لا تلبث أن تقول : « وهذا الشعب المكبل المستعيد ألست واحدة منه ؟ » (17) وهنا تبدو الحبكة فى صوغ شخصية حليمة . ذلك أن الوعى السياسى فى معناه الحقيقى ادراك للقضايا ادراكا شاملا يتخلص فيه صاحبه تدريجيا من الذاتية العمياء الى الموضوعية أى من القضايا النفسية الخاصة الى المسائل العامة .

ثم إن الأمر فى شخصية حليمة لا يتعلق بها هى فحسب بما لها من خصائص ذاتية ، وانما يتعلق كذلك بوسطها الاجتماعى فعبد الحميد نفسه يتساءل قائلا : « هل يمكن لحليمة أن تقوم بدور فعال ؟ .. انها امرأة » (18) الا أن محمد العروسى المطوى أبى الا أن يجعل النجاح حليف حليمة عندما نجحت فى حمل حقيبة السلاح . ولا يكاد الفصل التاسع ينتهى حتى أصبح بالامكان « الاعتماد على حليمة اذا الزم الأمر » (19) .

---

(16) حليمة ص 71 .
(17) حليمة ص 71 .
(18) حليمة ص 80 .
(19) حليمة ص 83 .

وهكذا كانت ثقة حليمة بنفسها وثقة الوسط بها أولى خاصياتهـا فى هذه المرحلة .

2) المرحلة الثانية : من الثقـة بالنفس الى المواجهة :

أقلعت حليمة فى هذه المرحلة عن قضاياها النفسية لتنغمس انغماسا كاملا فى قضايا الشعب ، فبقدر ما كانت نافرة من الناس فى الفصول الأولى أصبحت مقبلة عليهم فى هذه المرحلة .

لقد أصبح دورها أشـد خطـرا وأوسـع شأنـا من ذى قبـل . أصبحت تحمل حقيبة المتفجرات لا « الأسلحة » وذابت تفانيا فى خدمة الشعب ونسيت همومها القديمة أو كادت تنساها . وهاهى تعبر عن فرحتها بـعد نجاح المهمة التى قام بها عبد الحميد : « وعندما أنهى كلامه عانقته فرحا وهى تقـول : إن الشعب الذى وصلت روح الفداء فيه الى هذا الحد لا يمكن أن يغلب .. سننتصر يا عبد الحميد .. سننتصر بأذن الله » (20) .

وهكذا أصبحت حليمة جزءا من المجموعة ترمز الى الشق المناضـل فيها ذلك الشق الذى يؤمن بالمواجهة الشعبية العنيفة . ونحن الآن لسنا أمام حليمة الفرد أو حليمة الذات بقدر ما نحن أمام حليمة « المجموعة » حليمة الشعب فى ثورته .

3) المرحلـة الثالثـة : من المواجهة الى الملحمـة :

لقد عانقت روح حليمة روح الشعب وأصبحت جزءا لا يتجزأ منه رأت فيه شعورا بالواجب ولم تعد تلك اليتيمة التى تستشيط غضبا لمسائلها الخاصة ، بل أصبحت تستجيب لنداء الوعى الجماهيـرى المتمثل فى قـول سعاد : « إن القيادة التى أذنت لك بالعمل هى التى تأمرك الآن بالكف عنه الى أن تصدر لك أوامر أخرى » (21) إلا أن الجانب الذاتى لم يمح تمامـا بل بقى مـن الوسائل التشويقية فى القصة . ذلك أن حيرتها لم تنقطـع نهائيا إلا بعـد قراءة رسالة زوجها عبد الحميد ونحن نعتقد أن الجانب الذاتى وخاصة منه الجانب العاطفى بقى من الوسائل التشويقية فى القصة ولعل ذلك راجع الى موقف المطوى من

---

(20) حليمـة ص 87 ـ 88 .

المرأة وهو موقف مبنى على اعتبار الخوف والجزع والحيرة أمـام المصائب من خصائص المرأة المصاحبة لها . وتأتي النهاية بسرعة وكاد أمر حليمة ينتهى بمأساة إلا أن الكاتب أبى إلا أن يجعله ملحمة كانت حليمة تهزج فيه وتمرح.

وكان النصر وكانت الملحمة فى معنى الانتصار بعد المواجهات العنيفة . وكان كل ذلك تتويجا لشخصية حليمة .

التقييـــــم :

. يمكننا فى نهاية هذا التحليل أن نضع هـذا الجدول نرمز فيـه الى مراحل التطور فى شخصية حليمـة .

حليمـــــة		
الفصول الستـة الاولى	الفصـل السابع	الفصول الستة الاخيرة
حليمة المتأزمة نفسانيا	من الازـمة النفسيـة الى القضايا لسياسية	حليمة الواعية النصر سياسيـا
قسـم نفسـانى	قسـم سيـاسى	
من الملحمـة العاطفية	الى الملحمة السياسية	

هكذا كانت حليمة إذن ملحمية عاطفية أولا وسياسية ثانيا . ولكن إذا أردنا الوقوف على معنى البطولة فيها فاننا نجد أنها ليست شخصا من لحم ودم بقدر ما هى رمز الى طورين فى الكفاح التحريرى التونسى ، كفـاح فى ثوب التمرد الفاشل شبهه المطوى من حيث يشعر أولا يشعر بطـور العاطفة المتأججـة فى نفس حليمة وبموت الأب دون أن يغير مجرى الأحداث فى عصره .

والمسألة العاطفية أو الجنسية فى حليمة ليست الا صورة من صور التشويق وتعتبر جانبا فنيا لتجسيم القضية الوطنية فى مرحلتيها الاولى والثانية .

ونحن آملون بعد هذا التحليل فى الاقدام على البحث فى جوانب أخرى هامة من حليمة كالنظر فى الحس الادبى الذى تنتمى اليه وكالوقوف عـلى قيمة هذه القصة بالنسبة للأقاصيص التونسية .

عمـر الامـــام
أستاذ بالمعهد الثانوى ببن عروس

محسن بن ضياف

العشيقة

كان القطار يسير فى صوته المعدنى الرتيب والليل يمشى حوله ولكن فى أبهة من الانجم الزاهرة وكان لانزلاق الليل والانجم وصوت العجلات ما لا ينكر فى نفوس الراكبين المثقلة اجفانهم بالنعاس ٠

والتقطت عيناى فيما التقطت من مرئيات مبعثرة فوق الكراسى شعرا أشقر قلت فى نفسى ٠

« انه شعر أشقر » ٠

ثم أعدت النظر الى الشعر وقلت فى نفسى مرة اخرى ٠

« انه ليس كذلك انه غريب فى شقرته » ٠

ثم انحدرت عيناى الى الوجه الذى شارف على الاربعين ٠٠ العينان لم يتغير منهما شىء كثير انهما ما زالتا تحتفظان ببريقهما وبتيار غريب كالتيار الكهربائى تصيب من تنعكس عليه بهزة ٠ غير انى احسست ان الهزة لم تكن بالقوة التى يمكن ان ترسلها عينا امرأة فى سن الشباب ٠

كانت المقاعد حمراء ولكن فى حمرة متسخة لا توحى بالاشراق ولا بالبهجة وكان الليل الذى يسير حول القطار او يسير القطار خلاله رتيبا باهتا كالرمح الذى يخترق الظلام فلا احد ينتبه اليه الا عندما يصيب الهدف ٠ والمحطات تقف فى بلادة كامل الليل دون كلل او ملل كالعاشقة المتبتلة ٠

وقف « الخلاص » بوجهه الاسمر وشاربه الذى تمازج فيه السواد بالبياض مددت اليه بالتذكرة آليا أعادها الى آليا بعد طبعها ٠

كان شاب صغير جالسا قرب المرأة وهو يفصل فصلا طبيعيا بين الزوجة والزوج كانت الزرقة فى عينيه غريبة عن الاب وكذلك عن الام رغم شقرة شعرها المزيفة ٠

كان الرجل الذى خلفى يمد رجليه فى حذاء ضخم على المقعد الذى أمامه وهو يثرثر مع رفيق له بكلام هامس لا يصل الى منه الا القليل بينما رائحة الخمرة المنبعثة من أنفاسه تبلغ أنفى بوضوح أكبر ٠

خلف الزوجة المحترمة والفتى والزوج جلس رجل مترهل الجسم مفلطح الوجه قد انغمس فى صفحات مجلة يلتهم كل شىء فيها بشهية جعلتـه فى اغماءة عن كل ما حوله كأنه لم يقرأ حرفا منذ بدء الخليقة ٠

عادت عيناى رغم انفى الى السيدة ارتكزتا عليها بشىء من الجسارة تقتحمان الوجه الهادىء بكل فضول ٠ واحست المرأة بشىء من الحرج فأغمضت عينى حتى أغلبهما على هذا التحديق وقلت موافقا لهما أو مؤمنا عما فى نفسى .

« نعم انها هى بنفسها بلحمها وشحمها كما يقال ، وان بهتت فيها أشياء وامحت اشياء فللزمن من القسوة والقوة ما يجعلك تنسى أناسـا وينسـاك اناس والا كيف ... كيف يجوز ان انساها ؟! » .

احسست ان الليل يتداخل ويتقلص وينقبض وينفرج ويمد اطرافه ثـم يجمعها ويستحيل فجأة الى مسخ كانت من شهيرات النساء فى يوم ما رغم ما تحاوله من تخف لشخصيتها .

كان الوجه قد مرت عليه عوامل الزمن أما القوام الرشيق والشعر وبريق العينين فلا مبالغة اذا قلنا ان الزمن اغتصبهما قهرا وجهارا ولا سلطان عليه ٠ كان الفستان الذى يلف الجسم الذى ترهل شيئا ما على هيئة رقعة شطرنج تتقاسمه مربعات بيض وزرق ٠

فابتسمت بتسامة باهتة مخضلة بعطر الماضى وكان الليل يسير حـولنا بخطى مديدة يسمع لوقعها هدير فى النفس انثنى على نفسه ثم مد بقـامتـه المهيبة ٠

احسست بيد قوية تشد على يدى ووجه اسمر يقول :

ـ أهلا أهلا ٠

كانت الاعمدة تهرب والجسور تصرخ عندما قال فى صوته القوى :

ـ اجلس يا على اجلس ٠

نظرت اليها والى الرجل بجانبها والشاب الصغير الذى يفصل بينهما بوجهه الاسمر وعينيه الرزقاوين ٠

قال الرجل القوى ٠

ـ اجلس يا أخى ٠

جلست وأنا أنظر اليه رجل من رجال المدينة يقف عمالها صفا واحدا وراءه. كانت هى الاخرى جالسة الى الجانب الآخر من المكتب ٠

قال فى صوته الذى تعلوه خشونه ممزوجه ببحة ٠

ـ ماذا وراءك ٠

قلت ٠

ـ ان عمال النسيج المضربين هم الآن محاصرون بقوات من الجند ٠

علت وجهه سحابة من الاكتئاب ما لبثت ان طردها بابتسامة عريضة .
قالت المرأة فى شىء من الخوف ٠

ـ الجنـد ؟

قاطعها فى شىء من الخشونة ٠

ـ لا تهتم يا على فليس الامر على هذا الحد الذى تتصوره ٠

قالت المرأة ، وهى تهز قبضتها فى الهواء ٠

ـ معنا كل عمال العالم ٠٠٠ كل عمال العالم ٠

صفر القطار صفيرا حادا ٠ ثم توقف ٠ امتطاه جماعة من الشبان يتضاحكون ويتزاحمون انتشروا فوق المقاعد وامتزجت أصواتهم المرحة بأغنية انطلقت بها حنجرة فتاة فى عمر الزهو قد ارتدت سراويل دجين اعتلت احد المقاعد واخذت تغنى بحركة مسرحية ٠

«عندما يجن الليل يا اطفال» ٠

«وتعصف الرياح الهوج فى التلال» ٠

«أفتح ذراعى واضمكم الى صدرى» ٠

فيردد الشبان وراءها كالجوقة ٠٠

«أفتح ذراعى وأضمكم الى صدرى» ٠

قلت وأنا أنظر الى شاربه الغليظ ووجهه الاسمر القوى وعينيه الحادتين

ـ الا تخشى أن يهاجم الجند ٠

قبل ان يجيب عن سؤالى دخل ثلاثة رجال ترتسم على وجوههم علامات الاضطراب ٠

قال ، وهو ينظر اليهم ٠

ـ لقد بلغنى الخبر ٠٠٠ فقد حاصر الجند مصانع النسيج ٠

قال احدهم وهو رجل من اواسط العمر مفتول العضلات :

ـ بل حاصروا كل المصانع وهم فى طريقهم الينا فقد توقفت شاحناتهم حول الحى ٠

قال بصوت رصين ٠

ـ اوصدوا أبواب المقر بسرعة ولتتفرقوا وخذوا معكم زهرة ٠

رمقته بعينيها الكبيرتين السوداوين ٠ وكنت لاول مرة الاحظ ذلك السواد الفاحم فى عينيها ونظراتها الحادة وهى تقول ٠

ـ سأبقى معك ٠

اسرع اثنان يوصدان ابواب المقر ٠٠٠ وجه اليها نظرة تمتزج فيها الصرامة بالحنان ٠

ـ قلت اذهبى معهم ٠

ثم وجه كلماته الينا :

ـ خذوها معكم الى السطوح وسيبقى معى أحمد فقط .

وهو يقصد الرجل الكهل الربع القامة ٠

صرخ الجسر يئن تحت عجلات القطار والشبان ما زالوا يتحدون الليل باصواتهم الفتية تترنح فى اعماق الليل ٠ وما لبث الشاب الصغير الجالس بين المرأة والرجل أن ترك مكانه وانضم الى مجموعة الشبان يردد معهم أغانيهم ٠ وأخذت عيناى تتابعان المجموعة وهى فى الحقيقة تتأمل الفتى ٠ لقد كان الشبه قويا حتى لكأنى أرى الصورة والاصل ٠

عندما ترسل الشمس شعاعها الهادر يا اطفالى اجعل من نفسى مظلة تقيكم ولا أبالى وافتح ذراعى واضمكم الى صدرى ٠

كان الرجل المنغمس فى قراءة المجلة قد طواها وأخذ يتابع الشبان بعينين حالمتين وقد تهلل وجهه وأطلق القطار صفيرا طويلا مديدا نحيفا وخفف من سرعته وأخذ يتهادى بينما اطلت أنوار محطة مهجورة فى أعماق الليل ٠

ولما توقف القطار كانت الريح تعبث بأوراق الشجر المتناثرة على الرصيف.

تعالت اصوات مؤخرة البنادق تحطم الابواب فى صمت الليل واقتادوه ورفيقه . وعند أحد الاعمدة الكهربائية تعرف عليه الضابط فصرخ فيه :

ـ هو انت ٠

ورفع رشاشته وضربه فى وجهه بقبضتها المرة الاولى والثانية سقط بعدهما على الارض ٠ ولما أوقفوه كان الدم قد كسا وجهه وسال على صدره ٠ سمعنا وقع خطوات تتجه نحو السطوح وسمعنا دوى الرصاص فقفزنا الى سطح آخر وأنا ممسك بيد زهرة التى أخذ يدب اليها الارتعاش وهى تغالب شهيقها بينما اخذت دموعها تسيل فى صمت على وجهها الشاحب وتفجرت السحب بالمطر ينهمر بغزارة . رفعت ياقة جمازتها القطيفة العسلية والتصق شعرها

بوجهها ونحن نقفز من سطح الى آخر • لما توقف القطار كانت العشيقة قد نزلت فى محطة سابقة • وحملت معها الفتى والرجل الآخر •

واحسست ان الليل يقترب ويقترب منى حتى احسست بانفاسى تختنق فأسرعت الخطى هاربا من الليل • وازدادت أصوات الامواج حدة وأنا أقترب أكثر فأكثر من بيتى الصغير على الشاطىء •

ونبحت كلاب شاردة فى ليل انشتاء . ودوى الرصاص حولنا وصرخ صوت :

ـ قفا مكانكما ... وارفعا أيديكما !!.

رفعنا أيدينا وأنا مازلت ماسكا بيدها كأنها أمانة فى عنقى ••• واقتادونا

رفعت رأسى الى السماء فبدا لى الليل باهتا حزينا متثاقلا يجر خطاه كعمال الليل المتعبين •

لم أرها منذ ذلك التاريخ أى منذ خمسة عشر سنة الا مرتين : واحدة بعد سنة من تلك الليلة فى نفر من العمال تضع باقة من الزهر على ضريحه فى ذكرى وفاته الاولى وتقرأ الفاتحة •

صفر قطار فى صوت حاد طويل ممدود يشق ظلام الليل نصفين ويملا السكينة بصوت عجلاته المعدنية الرتيبة ووجدت نفسى أدندن •

«عندما يجن الليل يا أطفالى وتعصف الرياح الهوج فى التلال» وانفجر المزن مطرا مدرارا غزيرا فأسرعت الخطى أفر من الليل والمطر والذكريات وشعرت برائحة عطر ذكية تقتحم أنفى واذا هى قادمة نحوى تمشى بمفردها ، وقد تبللت ثيابها فالتصقت بجسمها وأبرزت مفاتنه ولكأنها فى أثواب شفافة فمددت لها بيدى لكنها لم تعرنى اهتماما وواصلت طريقها ؛ فقد كانت اشهى أشهى يتوق اليها رجل .

وتذكرت اذاك أنى أنا الآخر احببتها • وظلت تقض مضجعى ليالى وليالى وتحرمنى من النوم فما اضطجعت فى سريرى الا رأيتها تجرى تحت المطر وقد

التصقت أثوابها بجسمها فأهيم بها · وبعد شهرين أو ثلاث من تلك الليلة كنت أجوب الشوارع عاطـلا اذ أحسست بيد توضع عـلى كتفى فالتفـت فاذا زهرة أمامى .

سرنا معا نتحدث كصديقين ربطت بيننا أواصر تضرب جـذورهـا فى أعماق الزمن · ودون مقدمات فاتحتها بحبى وطلبت منها : هل توافقين على الزواج منى ··· فقد رضيت أن اكون الرجل الآخر ·

نظرت فى وجهى مرة واحدة علها تتأكد من صدق أقوالى ثم أخذت تمشى بجانبى منكسة الرأس لا تنظر الا لمواطىء قدميها التى تدوس أشعة شمس الربيع المستلقية فى تكاسل على عشب حديقة عمومية وطـال الصمـت ··· وأدركت أنى أخطأت ··· وأنى تسرعت وما كان يجدر بى ···

أدخلت قبضتها الى جيب جمازتها القطيفة العسلية كأنها تقبض على شىء ما ثم أخرجتها ورفعتها الى شعرها الاسود ونظرت الى السماء ثم نظرت الى فلمحت فى عينيها السوداوين الساحرتين لمحة من الحزن تتقد كأنها جذوة· وكانت دمعة تترقرق فى مآقيها وقالت ، وهى تبتسم ابتسامة عصبية :

ـ انى حامل ·

ومدت اصبعها الاسمر الى عينها فداست به الـدمعة وواصلت خطواتهـا الخفيفة رافعة رأسها الى السماء كأنها تكتحل بزرقتها الصافية .

لم أسألها عن الاب السعيد · ولكنى أحسست كأنى استيقظت من حلم لذيذ وددت لو طال أكثر وأكثر وواصلنا السير فى صمت ولم أرها منذ ذلك اليوم الا مرة واحدة فى المقبرة · ولا أعلم هل كانت تتجنبنى طيلة تلك السنوات أم كنت أراها ولا أراها ·

محسن بن ضياف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نــور الدين بن بلقاســم :

فــى ثــلاجـــة الأمـــوات

دق جرس التلفون مرة ثم عاود أخرى وأخرى ، فتحرك الشيخ من الأريكة ومد يده فمسك السماعة ، سمع صوت امرأة يسأل :

ـ هل هذا منزل الشيخ رجب ؟

أجابها الشيخ :

ـ نعم هذا منزله .. ماذا تريدين ؟

صمتت المتكلمة لحظة وسألت من جديد بصوت حزين :

ـ أأنت الشيخ رجب بعينه ؟

ـ أنا هــو .

ـ البركة فيكم .. أن ابنكم توفي !

ـ تــوفي ؟

ـ نعــم ...

ـ ولكنه بالأمس صحيح معافى ؟

ـ إن الموت لا يستشير أحدا ...

ولم يستطع رجب أن يواصل الكلام فأجهش بالبكاء ..

ولكن الممرضة طلبت منه أن يسرع فى القيام باللازم لاخراج جثة ابنه من المستشفى ، فتحامل على نفسه ووضع السماعة ، وعلا صوته بالبكاء من جديد ، فسمعته زوجته سلمى وكانت فى المطبخ فهرولت نحوه ، فأخبرها بالأمر .. ولم تستطع أن تتحمل المفاجأة فأغمي عليها وتسامع الجيران والاقارب فهبوا

جميعا ، وقامت فـى الحوش مندبة وانقلب هدوؤه الى ضجيـج وعفس ورفس وأخـذ ورد .

قالت احدى الجارات وهى تتحسر :

ـ إن رياض شاب شهم .

وقالت امرأة أخرى :

ـ انه لم يفرح بعد بالزواج ، فقد كان عرسه مقررا هذا الصيف .

قالت عجوز متحسـرة :

ـ سيتزوج حورية من حوريات الجنة . فـقد خرج من هـذه الدنيا طاهر السـروال .

وقالت يافعة لصاحبتها :

ـ كنا نحب بعضنا كثيرا ، وكان ينـوي التسليم فى خطيبتـه الحـالية ليخطبنى من أبى ! لقد ضاع كل شىء !

وأردفت امرأة كهلة وهى تولول وتضرب بيديها على صدرها :

ـ كان كريما ولطيفا ، فمنذ أن مات المرحوم وهو بمثابة ولدي يحدب علي ، ويشترى لى كل سنة كبش العيد وكساء العام ، مقابل أن أدعو له بالخير .

وعلا الصياح والضجيج والبكاء من جديـد ، وتداخلت النسوة وانتحبـن ، وجرى الأطفال وتصايحوا ، ووقفـت طوابير مـن السيارات بعض السـواق يستطلعون الخبر ، وبعضهم جاؤوا يعزون ...

واجتمع رفاق الميت وقرروا الذهاب رفقة الشيخ رجـب لاخراج الجثة من المستشفى .

ركب الجماعة سيارة الشيخ رجب ولم يستطع هذا أن يمسك بزمام نفسه ليقود السيارة فأوكل قيادتها الى أحد أصحاب ولده .

فى باب المستشفى استوقفتهم ممرضة فعرف الشيخ رجب من صوتها أنها هى التى كانت تحدثه بالهاتف .

سألتها بلهفة وهو يكفكف دموعه :

ـ متى توفي ولـدي ؟

ـ الليلـة البارحـة .

ـ ولكنني بالأمس زرتة فوجدته فى صحة جيدة .

ـ ان الموت أقرب الينا من حبل الوريد ..

ـ إنها مشيئـة الله .

سأل أحد المرافقيـن الممرضـة :

ـ أين نجد الجثـة ؟

أجابته الممرضـة :

ـ إنهـا فى الثلاجـة .

فأستفهمها مرافق آخـر :

ـ ولكـن كيف نعرفهـا ؟

قالت وهى تدارى حـزنا :

ـ ان رقم المريض الذى يوضع على سريره فى المستشفى هو نفسه يرقم به صندوق الجثة فى ثلاجة الأموات ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سأل أحد الشبان الشيخ عن رقم ولده فى المستشفى فوضع يده على جبينه متذكرا ، ثم قـال :

ـ كان رقمـه ثلاثة عشر .

وذهبت معهـم الممـرضة لتدلهـم على بيت الأمـوات ، لمـا وصلت مـع الجماعة أجالت عينيها فى طوابق الثلاجة الكبيرة ، واستقر نظرها على صندوق يحمل رقم ثلاثة عشر ، وكان هو الأسفل عن اليمين ، فقالت مشيرة باصبعها :

ـ هنـا الجثـة .

تقدم أحد الرفاق وسحب الصندوق ، فأتسعت حدقتا الشيخ رجب ، وزم شفتيه ، وأخذته رعشة ، وتمتم بكلام غير مفهوم واندفع سائلا :

ـ هل هذه جثة ابني ؟؟

أجابته الممرضة بصوت واثق :

ـ نعم .. نقلناها الليلة البارحة .

تلعثم الشيخ ، ثم فرك عينيه بيديه ، وحدق مليا ، ثم سأل بالحاح :

ـ أصحيح ما تقولين ؟

ردت الممرضة فى انفعال :

ـ أو تحمل كلامي محمل الخطاء ؟

ـ ولكن ابني أبيض البشرة وهذا أسودها !..

قالـت الممرضة فى تأكيد :

ـ هذا هو ابنــك !

قال لها فى استنكــار :

ـ أيمكن أن أخطىء فى ابني ؟

أجابتـــه :

ـ ولم لا تخطىء وأنت فى حالة غير طبيعية ؟

قال محدثــا نفسه فى غضب :

ـ اللهــم ثبتنــا عـلى الحق

ثم التفت الى الممرضة وأضاف فى توسل :

ـ انظري .. أأنا أسود البشرة ؟؟

قــالت :

ـ لا . أنت أبيض .

فسألهــا من جديد :

ـ وكيف ينقلب ابنى الى أسود ؟ أيسود الموت الوجوه منذ البداية ؟

أجابته وهى تداري ضحكة تخاف أن تفضحها :

ـ لعل أجدادك القدامى كانوا من العبيد ! ..

وتشابك الشيخ مع الممرضة بالكلام ، وحاول مرافقوه اقناعهــا بالبحث فى الصناديق الأخرى ، وقرر الجميع أن يذهبوا للتثبت فى ادارة المستشفى ، ولج

الشيخ رجب الباب وقصد الغرفة التى كان يرقد المرحـوم ابنه فيهـا ، ليسأل جيرانه فى الغرفة عن كيفية مماته .

وقف فى باب الغرفة ـ والحزن يثقل عينيه بالدموع ويهد بدنه ـ يستطلع بعينين حادتين لم يؤثر فيهما تواتر السنين . سمع صوتا ينادى :

ـ أبى ما الذى أتى بك واليوم ليس يوم زيارة ؟

فتح الشيخ ذراعيه وعدا كما يعدو الاطفال الى أمهاتهم ، وارتمى على ولده قائـلا :

ـ ولدى الحبيب أأنت مازلت حيا ؟

فسألـه رياض متعجبـا :

ـ وهـل أنامـت يـا أبى ؟

أشـار الشيخ الى الممرضة الواقفة قريبا منه :

ـ هذه أماتتك يا ولـدى !

وأغمي على الشيخ .. ولم يستفق الا بعد ساعة .

وأحست الممرضة بالخطأ فاضطربت واعتذرت وقالت :

ـ لقد استبدل خطأ رقم رياض I4 برقم I3 وهـو الرقم الـذى كان يحمله سرير شاب أسود وافاه الأجـل فى الليلة الماضيـة .

نور الدين بن بلقاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رجب سعد السيد

دراســـة :

نمـاذج بشـرية من روايـة وراء الشمـس لحســن محســب

حسن محسّب ، روائى غزير الانتاج ، لا يمكن تجاهله .. فأدبه له ملامحه الخاصة التى قد يستسيغها البعض وقد يرفضها البعض الآخر ، ولكـن يبقى أنه روائى متمكن من فنه ، وكانت له الشجاعة لكى يخوض ـ من خلال بعض فنه الروائى ـ تجربة التحولات الخطيرة فى المجتمـع المصـرى منـذ بـداية السبعينات حتى نهايتها . قد تكون رائحة الدعاية السياسية ظاهرة فى بعض أعماله ، ولكن ذلك لا يبرر صمت النقاد تجاه هذا الاديب .

وقد تيسر لى أن أسجل بعض الملاحظات النقدية فى هوامش روايته « وراء الشمس » التى أنتهى من كتابتها فى 5 مارس 1972 (لاحظ دلالة التاريخ) . وكنت مندفعا الى تسجيل هذه الملاحظات ساخطا على الكاتب الذى أهدر ـ فى رأيى ـ عملا روائيا جيدا بتسليمه الى مقصلة الدعاية السيـاسية المبـاشرة الفجة . فالقصة تنتهى بما يسمى ثورة التصحيح فى مايو 1971 والافراج عن المعتقلين فى القلعة ومحاكمة (الجعفرى) رمز مراكز القوة و .. « حتما يا عين حور سيعود اليك الحب والعدل والسلام » ص 189 .

وأول ما يسىء الى هذه الرواية هو عنوانها « وراء الشمس » فقد تردد هذا العنوان كثيرا على السنة الناس حتى استهلك وابتذل فى الشارع المصرى . والرواية ، وان كانت تهتم بشكل متورم بتفاصيل ما يجرى خلـف أسـوار المعتقل ، الا أن ذلك ليس همها الاساسى .. فالمفروض أنهـا تحكى من خـلال عملية اعتقال حدثت فيما يشبه النكتة مأساة جيل بأكمله عـاصر النكسـة بمقدماتها ونتائجها بكل مرارتها ، مع التركيز على أبناء الطبقة تحت المتوسطة الذين يطلبون العلم فىالجامعة وتسبق تطلعاتهم امكانياتهم الماديةوالاجتماعية.. إنهم يبرزون فى وجه الواصف أعوادا نحيلة من النبات متقطعـة الاسبـاب والاتصال الا من زاد يسير مضطرب من الثقافة والقيم الروحية والدينية يروح ويجىء بين مد وجزر .

والواضح أن ذلك لم يكن غائبا عن ذهن الكـاتب ، ولكنـه كان مشوشا ومتداخلا مع رغبة حميمة ملحة فى الهتاف لحركة أو ثورة التصحيح فى مايو 1971 ، وهذا التداخل هو الذى استفزنى لكتابة ملاحظاتى النقدية ،وقت أن صدرت الرواية .

غير أن ذلك لم يمنعنى من تسجيل اعجابى ببعض النماذج البشرية التى بنيت على أكتافها رواية « وراء الشمس » والتى خدمها الكاتب بشكل جيد ، فرصدها والتقطها من المجتمع المصرى ، واستعاد تاريخها وصلاتها الاجتماعية وتطلعاتها وامكانياتها ، وربط كل ذلك بما يجـرى فى المجتمع من أحـداث ومتغيرات . وبالرغم من أن الرواية تحتوى على ما يزيد على عشرين شخصية متواجدة بكيانها فى الرواية أو متواجـدة فى وعى الشخصيـات المتـواجدة بكيانها ، الا أن البنيان الروائى يقوم على عدد قليل من الشخصيات التى نالت اعجابى والتى تمنيت دائما أن أرسمها فى أعمال قصصية .

أول هذه الشخصيات هى شخصية (الجعفرى) . وهو مدير المعتقل . وتبدأ الرواية بأوامر سرية تصدر اليه باعتقال (وليـد وعصـام ويـوسف) لانهم أثاروا المتاعب فى بلدتهم أثناء عملهم فى حملة لمحو الاميـة ، ممـا يدعـو الى التحفظ عليهم فورا لانهم يحرضون الاهالى ضد السلطات .

وهنا نقف أمام ملاحظة : هل الامر بالاعتقال يصدر الى مدير المعتقـل ؟. وهذا يشى إما بعدم خبرة الكاتب الكافية فى هذا المجال ، أو بأنه لم يفطن الى هذه الهنة وهو فى تسرعه لتسجيل ادانته لعصر مراكز القـوى والتبشير بالتصحيح القادم .

فرصة هى ــ إذن ــ أمام الجعفرى لاحراز انتصار جديد ، ولزيادة ثقة الكبار به مما يقربه من هدفه التاريخى . وهى شخصية سـوداء على طـول الخط ، ولديه عجز جنسى يوجه تصرفاته ، بالاضافة الى تاريخ أسرى رهيب . وهو شغوف بممارسة التعذيب بنفسه ، ويردد بشكل متصل كلمة « يا نسوان » ص 34 .

(... أخذ نفسا طويلا من سيجارته ، ورأى للحظة خاطفة جسد « سهير » عاريا بين ذراعيه ، واشتهى شفتيها .. ثدييها .. وصرخ فى أعوانه هربا من عجزه الفاضح : « يا نسوان » !) .

وثمة علاقة قديمة بين أمه وبين السراى .. فهو اذن سليل كم هائل من القيم التسلقية . وهو عندما يقدم خدماته للكبار لا يفعلهـا من أجـل سـواد عيونهم ، بل من أجل أن يحقق (الهدف) .. لقد صار الآن أقوى من أسياده. إنه يملك الدليل ضدهم .. صاروا ضحايا تحت يده .. هو وحده يملك أن يفضحهم ويعريهم فى الوقت المنـاسب لينقض ويحقـق أحـلامه التسلقيـة العتيقة . قال جده لأبيه الذى كان يريـد لـه (للجعفـرى مديـر المعتقـل) أن يلتحق بكلية الطب .

ـ « لو تعرف كم دفعت للملك وحاشيته مقابل لقب البـاشوية ، ونظيـر توظيفك فى الديوان الملكى ، لاحتقرت نفسك لانك تريد ابنك الجعفرى الصغير مجرد طبيب .. إنك غبى » .

وهكذا تم الاعداد لان يصير الجعفرى الصغير قويا جبارا مرهوبـا عالمـا ببواطن الامور وصانعا للاعاجيب .. يجلس يحلـم باليـوم الذى تـردد فيه الجماهير اسمه ويستطعم ذلك الرنين ؟! الذى يثيره اسم الجعفرى فى حناجر الجمـاهير .

إن التاريخ الاجتماعى للجعفرى يعطيه شرعية تطلعاته الغير شرعية ، كما أن مكوناته النفسية والجسدية ـ كذيل للكبار وكعاجز جنسيا ـ هى الطاقة التى تدفعه نحو هدفه . وهو فى سبيل هذا الهدف يرضى الجميع ، ويقـدم زوجته الى (الرجل الكبير فى ادارته) استثمارا مزدوجا : يعوضها عن الشىء الذى لا يستطيع أن يقدمه لها ، وفى نفس الوقت يوطد علاقته بعالم الكبار .

★ ★ ★

وتبدأ حلقات التعذيب فى مضيفة محمد على باشا ـ القلعة . ولا بد أن يعترف الشبان الثلاثة بما يدفعهم دفعا الى منطقـة الظـل الابـدى : ما وراء الشمس !. حفل وحشى استمر طول الزمن الروائى . ومن خلال لحظات توقف العزف الوحشى ، بل وأثناءه ، ينسج المؤلف خيوط روايته : الابعاد المختلفة للشخصيات وظروف الوقائع ودلالاتها وتراكماتها . يتـم ذلـك عن طريـق المواجهة بين الضحايا والجلاد وما يمكن أن يتفجـر عن ذلـك من مـواقف وأحداث : إهدار إنسانية الشبان الثلاثة واللواط بهم ـ مـواجهتهم للغـول

وتحديه ولو بالكلمات ـ اكتشاف الغول لابعاد اللعبة التى تحاك ضده وتهدد مصالحه ـ مقتل عصام برصاصات الجعفرى ـ مقتل يوسف أثنـاء التعذيب ـ تصاعد موقف (الصول عبد الحق) من التعاطف مـع المعتقلين الى المـواجهة المباشرة وعصيان الجعفرى وخطف مسدسه الذى أراد أن يقتل به وليد ـ الى آخر المواقف والاحداث .

ويستخدم المؤلف (الفلاش باك) لاستقدام الاحداث والذكريات التى تسهم فى نسيج لحمة الرواية ، وان كان استخدام هذا التكنيك غير موفق فى بعض المواقع ، مثل : تذكر عصام ـ وهو راكع تحت قـدمى الجعفـرى وينظـر الى القسوة فى عينيه ـ عينى أبيه ، ويلى ذلك تفاصيل كثيرة ودقيقة نتعرف فيها على جزء كبير من علاقة عصام بأبيه الاستاذ فتوح .

وعلى كل حال ، فان مشاهد التعذيب مطولة ، وتبدو (ممطوطة) ومترهلة فى بعض الاحيان .

* * *

و « عصام » أحد أفراد الثلاثى المعتقل وهم طلبة جامعيون ومن بلدة واحدة. وقد جمعتهم اهتمامات واحدة فى فترة النكسة . إنهم ـ كل من خلال رؤيته ـ يحاولون تلمس الطريق الى النجـاة . مثقفـون ، حريصـون على ارتبـاطهم بالجماهير من خلال دروس محو الامية ، ومن خلال لقاءاتهم بالاهالى فى نادى الطلبة بالبلدة يناقشون مشاكلهم اليومية .

وعصام شديد التشاؤم ، ويرى التسيب فى مجتمع سنوات النكسة بشكل متضخم يلح على مزاجه السوداوى . وهو يرد كل مظاهر الفساد الى الهزيمة.

وتحت وطأة التعذيب ، يبدى استعداده للاعتراف كمحاولة ـ ليس أكثر ـ للتخفيف من العذاب الذى لم يعد يتحمله .. فهو يريد أن يلتقط أنفاسه . وفى غرفة الانعاش يكتشف أنه يدفع غاليا ، بينما الآخرون قد فعلوها واختاروا الطريق السهل وعاشوا . حتى أبوه .. ضاجع « أم بسيمة » فى فراشه هو ، وخان ذكرى زوجته ـ أم عصام ـ المتوفاة ، وحقق مكاسبه وتطلعاته الخاصة : برجوازى صغير استطاع خلال عشرين سنة أن يرتقى الى (ناظر مدرسة) وأن يمتلك عشرين فدانا .

ونتساءل : هل السبب فى اعادة النظر الى الأب هو اكتشاف خيانته لذكرى أمه ؟ أم أنه نتيجة لموقف فكرى معين ؟. ولماذا لم يظهر هذا الموقف من قبل ، وظل متعايشا معه ، وظهر فقط فى حجرة التعذيب وتحت قدمى الجعفرى ممزوجا بالدهشة ؟.

وفى زيارة لفتوح أفندى (جيل ما قبل الثورة) للقاهرة ، ينزل ضيفا فى حجرة ابنه عصام (جيل الثورة) فوق سطح عمارة بالزمالك ، ويتصاعد الموقف بينهما :

الأب : ماذا تريد منى ؟

عصام : الحقيقة !. ما لديك منها على الاقل .. علنى أفهم .. علنى أعرف من أكون والى أين أسير ؟

الابن يتكلم بلغة لا يفهمها الأب الذى أتى الى القاهرة لزيارة أضرحة أولياء الله ـ كما يدعى ـ وفى السر لممارسته مجونه مع بغايا القاهرة . لقد حجب الأب نفسه عن ابنه .. لم يعلمه إلا أن يكون جبانا مذعورا (منعه من المشاركة فى فض شجار بين أهالى البلدة) .

وتنتهى المقابلة ويرجع الأب الى البلدة ويرسل الى ابنه خطابا يعنفه فيه على تصرفاته وأفكاره . ويقطع عنه المونة . وتكتمل حلقات ميلودراما الاقدار حين يقع الخطاب فى أيدى زوار الليل ، ويتخذ دليلا ضد عصام .. « وشهد شاهد من أهلها » ! .

وكما قلنا ، يسترجع عصام هذه الذكريات وهو فى الزنزانة وقد أجاد المؤلف حين صور اللقاء كما لو كان قد تم فى زنزانة .. فالحجرة فوق السطح تشبه الزنزانة . وكل من الأب والابن سجين أفكاره الخاصة .. سجين أيامه ، سواء الماضية أو المستقبلة ، بكل ما تحمله من ترسبات أو تطلعات .

وينتهى مشهد التعذيب بأن يلاط به . وتهتز الحقائق أمام عينيه ، فيحاول أن يغير منظاره ويعيد اكتشاف الاشياء . ويكتشف ـ فجأة أيضا ، ونكتشف معه ـ فجيعته فى حبه : زينة ، بعد فجيعته فى أبيه (سقوطه) وفجيعته فى نفسه (رجولته المهدورة) .

وزينة فتاة مصرية عصرية ، تتفاعل مع الحياة تفاعلا تاما . ولكنها ـ مثل عصام ـ تفتقر الى من يساعدها فى شق طـريقها وسط خضـم الصراعـات الاجتماعية . إنها تمارس حياتها بكل ما فيها من متعة وضياع وتحب عصام ولكنها تجد المبررات التى تدفعها الى خيانته مع صديقه يـوسف : « عندمـا أتزوجه سأخلص له تماما » !!. وهى تريد منه أن يتزوجها ، وهو عاجز عن تحقيق ذلك .

وشخصية زينة ـ من وجهة نظر البناء الروائى ـ متضخمة . فهى لا تفيد الا فى إضافة بعض (الرتوش) الى صـورة عصـام ... ، والـرواية لا تتحملها كشخصية بأبعادها الاجتماعية والنفسية (المذكرات الطويلة مثلا) .

إن عصام شخصية سريعة الانفعال ، سريعة الاستجابة للهـزات وهـو يتذكر كل الذين استسهلوا الخطوات ابتداء من أبيه حتى أستـاذه الجـامعى الذى يعتقد أنه انحرف حين شاهده يبيع مبادئه وعلمه سلعة استهلاكية فى وسائل الاعلام ، حتى حبيبته زينة وخيانتها الفاجعة . انه يذكـر كل هـذه الاشياء ويراكمها كما لو كان يبحث عن مبرر للتراجع ، ولكنه يتمالك نفسه فى اللحظة الاخيرة . فبعد أن ضبط زينة وهى ترتاد عوامة «أمبابه» حيث يقيم يوسف ، خرج مع وليد الى الشارع وهو فى حالة انهيار :

ـ « أريد أن أهرب .. من مصر كلها .. الهرب أو المـوت .. لكنى أعـرف نفسى .. جبان ! » .

وهو حين يرجع الى نفسه ، ويخرج من نقطة الاهتمام الانانى ويرد الاشياء والجزئيات الى مكانها الصحيح من الحركة الأم ، يحاول إنصـاف زينـة ، ولا يدعها وحدها تحمل الصليب . يحادث الجعفرى ص 62 :

ـ « كانت لى صديقة غالية .. اسمها .. لا .. لن أقول لك اسمها . كنت أقول لها على الدوام : يا ابنة الشمس والنـار .. سـأسير اليـك على درب طويل .. على نغم الحق والعدل .. وستكون شفتاى مغلقتين .. ولن أستطيع أن أغنى الاغانى القديمة .. ولكن .. كل شىء قد انتهى .. ذهب . تبدد فى لحظة جنون .

فضحك الجعفرى مدعيا الاهتمام :

ـ « خانتك ! » .

وانتفض عصام واقفا .. وقال بحقد شديد :

ـ « لا أعرف ماذا أقول لك .. إنك تفجر أحزانى .. تثيرنى بطريقة غير لائقة .. لقد كنا نسير ونحن نيام .. كان بعضنا يسير بخطوات بطيئة ، وبعضنا يلهث ، وبعضنا يهرب .. لكننا كنا نياما .. الى أن وجدنا أنفسنا هنا ، وفى داخلنا حزن يتحدى كل إغراء ! » .

إنه هنا يخرج واقعة الخيانة من حيز المحدودية الفردية . إنه يسقط ظلالها على المجتمع . ثم هو يحاول فى موضوعية ، وبمنطق مقبول ـ روائيا ـ أن يبرر خيانة زينة أو يخفف من أثرها . يقول ص 103 :

ـ « ... إننى قد غفرت لك .. ففى زمن الوقاحة لا يصح أن أتهمك أنت دون غيرك .. الكل مدان .. وأنا وأنت من هذا الكل المذنب بغير ذنب .. » .

إن شخصية عصام مرسومة بمهارة . إنه مثال للثورى المتشائم ، لم تساعد الظروف على اتمام نضجه . وهو يشاهد أقرب الناس اليه يتساقطون . إنه ـ بعد محاولته تبرير خيانة حبيبته ـ يعترف لها صراحة بضعفه :

ـ « .. كنت أتمنى لو أننى أملك شجاعة أكثر وصدقا أكثر لانقذك من هذه الدناءات .. لكن ، الآن فقط أعترف لك أنت وحدك بضعفى الشديد .. لكننى لم أجبن .. لم أخن .. لم أخطىء .. الخطيئة الوحيدة هى أننى لم أتسلح بما يكفى من الشجاعة لمواجهة الانذال .. لم أعد نفسى كما يجب .. » .

لذلك سقط (عصام فتوح عبد الدايم الهمشرى) ضحية خطيئته الوحيدة التى لا يتحمل مسؤوليتها . لكنه قبل أن يسقط برصاص زبانية الجعفرى ، لا يفقد الامل تماما ـ إنه يحلم ، بل يثق فى أن « حبيبته » ـ برغم كل شىء ـ « .. كفيلة ذات يوم بانجاب الابن الشجاع الجسور الذى لا يعرف مهادنة ولا مساومة ولا يسمح لنذل مهما كان بالاساءة اليها » .

★ ★ ★

وثمة ملاحظة أساسية كان يجب أن نشير اليها فى البداية وهى أن الكاتب ـ لا بد ـ قد واجه صعوبة فى عرض أفكاره وثقافات هؤلاء الشبان الثلاثة . وهو قد حاول ، بلا شك ، ألا يكون هذا العرض عن طريق حواريات قد تطول وتفقد حيويتها ويكون ذلك على حساب روح الرواية التى تضج بالحركة .. فلا بد أن الحوار الفكرى سيقتل طبيعتها الديناميكية ويبطىء من اندفاع تيارها . لذلك لجأ الى عرض أفكارهم وثقافاتهم ـ باعتبارهم معتقلين من نوعية خاصة ، وخصوصا وليد ـ عن طريق ملفاتهم لدى أجهزة الامن وما تجمع فيها من تحريات عن أدق تفاصيل حياتهم وأفكارهم ، وتتبع لتطورهم الاجتماعى والثقافى .

وقد استخدم المؤلف هذه الحيلة ـ وهى ليست جديدة ـ بنجاح . فهو لم يثبت أو يقدم الملفات ككتلة ، أو مرة واحدة ، وانما قطعها حسب تطور الاحداث وكان التقطيع مصاحبا لتطور القضية ، ومصاحبا أيضا لانفعالات الجعفرى .

ومن خلال الهوامش التى وضعها وليد تعليقا على بعض قراءاته نتعرف عليه . إنه ذلك العقائدى المناضل . ولا يخفى على الجعفرى بحسه البوليسى الذكى أن ذلك الولد « وليد » هو أخطر الثلاثة ، لانه أكثر قدرة منهم على الرؤية الواضحة نسبيا .

وعلى العكس من عصام ، فان والد وليد ـ اسمه الزناتى خليفه ـ قد مات منذ زمن بعيد . قتل فى نضاله ضد الاقطاعيين الذين كان يعمل أجيرا فى أراضيهم . ولا بد أن يكون لذلك تأثير فى تكوين شخصية وليد .

وقد يبدو استخدام اسم الزناتى خليفه بحمله التراثى هنا استخداما مباشرا غير أن ذلك يبدو ملائما اذا علمنا أن هذه التسمية منتشرة بشكل واسع فى الريف المصرى .

وبعد سقوط الأب فى معركته ضد الاقطاع ، تولى الشيخ تهامى رعاية وليد . والشيخ تهامى زوج أخت وليد ، وهو أزهرى ووفدى قديم ، سبق اعتقاله لاشتباه فى نشاط معاد للسلطة ثم أفرج عنه بشكل ما بعد أن ثبت أنه (فى حاله) وأنه يدعو للرئيس فى كل خطبة وصلاة . وهذه اشارة من

بعيد الى انحراف الشيخ . وهو قد سقط بعد ذلك ـ بعد موت زوجته أخت وليد فى حريق القرية ـ فى أحضان « بلطية » غانية القرية ، (كما سقط أبو عصام فى أحضان أم بسيمة) وانقطعت رعايته لوليد .

برغم ذلك ، فان وليد يحرص على فصل الحياة الخاصة للشيخ تهامى عن مبادئه وقيمه :

ـ « يجب أن نسمى الاشياء باسمها الحقيقى . إن الشيخ تهامى لم يكن الا إنسانا صادقا بعض الوقت . كان تعبيرا عن أفكار قوية راسخة صنعها أجيال من الانبياء والرسل والخلفاء الراشدين وأهل العلم والحكمة من المفكرين واستشهدوا من أجل استمرارها ووصولها الى الاجيال تلو الاجيال » .

إنه يحاول ألا يضرس بسبب ما أكله الآباء من حصرم ، لانه ـ على عكس عصام ـ يمتلك سياجا واقيا من الثقافات المتنوعة : دين ـ فلسفة ـ تاريخ ـ اجتماع ـ اقتصاد ـ أدب . كل ذلك يعطيه قدرة أكبر على أن يقف مستقلا لا تؤثر فيه بشكل حاد ضبابية الرؤية ، إنه نموذج أكثر ايجابية وأكثر صلابة من عصام ومن يوسف .

برغم ذلك كله ، سقط وليد ، لان الحركة لم تكن واعية بما فيه الكفاية . كانت المؤامرة تحاك من حولهم وهم يترددون فى الشباك غير واعين ، حتى فوجئوا واكتشفوا الخيوط وهم فى الزنازن ، وكانوا ـ بدافع من الوطنية الجريحة فى يونيه 1967 ـ قد ساهموا فى بعض الاعمال العسكرية لمساعدة جنودنا المنسحبين . ثم بدأوا فى برنامج تدريب سرى للقيام بأعمال خاصة فى الارض المحتلة . هكذا قيل لهم . وكان التدبير محكما .. فقد تحولت محاولة علاج جرح الهزيمة الى عملية احتواء . من الذى فعلها ؟. من المسؤول؟. وتلك اشارة الى ظروف تكوين التنظيم الطليعى . على أى حال ، فان ذلك الاكتشاف المتأخر لحقيقة ما جرى لهم هو ـ فى حقيقته ـ ادانة للجيل كله المفتقد للوعى .

والملاحظ أن كلا ممن أتى بهم حسن محسب ممثلين للجيل كله ، كان مشغولا بنفسه معظم الوقت . عصام مشغول بزينة ويتحدث عن مفاتنها بشهوانية . وليد يمارس الجنس مع الارملة الضائعة المثقفة نادية التى استشهد زوجها فى 1967 فانطلقت تمارس حياة الضياع وتطلق من حين لآخر بعض

المقولات والعبارات المزوقة تبريرا لسقوطها . ويوسف تهجره خطيبته هـدى فيمارس الخيانة مع زينة ، حتى أن الجعفرى ـ حتى الجعفرى ـ تصدمه تلـك الرائحة المنبعثة منهم فيواجههم بأنهم يدعون التدين والوطنية وهم يمارسون الجنس كأزيار النساء ويتخاطفون نساء بعضهم البعض .

ثم إنهم ـ برغم ارتباطاتهم العاطفية بحبيبات ـ يتجمعون مع الآخرين من رجال السلطة حول « سهير » التى كانت الفخ الذى وقعوا فيه ، وانساقوا وراء متعهم ، حتى أن وليد وهو يقابل يوسف وعصام لاول مرة في عوامة سهيـر ـ وكان يقابلها منفردا من قبل ـ لم يفطن الى أن تقابل ثلاثتهم فى العوامة أمر مدبر . ص 93 .. « لم يخطر بباله ـ آنذاك ـ أن هناك من دبر بذكاء تعريف ثلاثتهم بسهير .. كل ما شغله يومها هو مشاركة زميله وسهير لحظـة مـرح بريئة » . أى براءة هذه ؟! .

أما يوسف فهو الشاب القادم من مدينة النضال الوطنى بـور سعيـد .. احدى مدن الضريبة الفادحة . ويهتم المؤلف هنا أيضا برصد تاريخه الاسرى من خلال نماذج من أقربائه . والنموذج هنا لخال يوسف الذى كان أحد أبطال معركة بور سعيد فى 1956 ، ومات فى ظروف غامضة فيما بعد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويوسف دارس للفن . مثقف . يمارس الرسم . انه المنـاضل فى ثـوب الشاعر . هو رومانسية الثورة ان جاز التعبير . ويحمل القسم رقم (7) من الرواية عنوان : جواب حب ، إنه اسم لوحة رسمها يوسف ولم يتمها . كان يوسف يريدها قاسية صارخة التعبير..بل ومرعبة.واللوحة مطعمة بكلمات فى حب مصر (صفحات 66 ، 67 ، 68) رائعة ، رقيقة كالشعر . وكان يريد أن يهدى هذه اللوحة الى حبيبته « هدى » . انها الحبيبة المثال ، وهـو حيـن يناجيها تندمج فى شخصية الوطن (صفحة 37) . ولكن اللوحة لم تصل الى هدى ، وضلت طريقها فوقعت فى يد « سهير » .وتتحول اللوحة الى منشور سرى يتداوله الطلبة والعمال . وتضاف اللوحة الى ملف القضيـة كـوثيقة إدانـة .

أما عن علاقته بزينة ، فيتضح أنها هى ـ زينة ـ التى أوصلته الى شركة إعلانات ليعمل بها . وقد أدين أيضا بانتمائه الى هذه الشركة اليهودية . فهل

كانت زينة ـ اذن ـ جزءا من المخطط ؟. ان الصورة تهتز أمـامه وتتـداعى الاشياء وهو يصارع العذاب فى الزنزانة متوجها بصلاته الى يسوع .

ويأتى موت يوسف متأثرا بجراحه بين يدى الصول عبد الحق . وأحـاط المؤلف هذا الموت بطقوس شعـرية تضفى عـلى المـوقف جـلالا ، وجمـالا خاصا ص 178 .

والرواية ككل يمكن أن توضع فى مجال دراسة نقدية مقارنة مـع روايـة « الكرنك » لنجيب محفوظ . إنهما تتشابهان فى الموضوع وفى المنـاخ وفى الملامـح العـامة للشخصيـات وفى محـاولة البحث عن اجابـات للعديـد من التساؤلات . فهل تختلفان فى طريقة الاقتراب بهذا كله من شكـل روائـى متميـز ؟.

إن روايات « حسن محسب » ـ و « وراء الشمس » واحدة منها ـ لا تخلو من عيوب وأهمها الزعيق واللهاث وراء المناسبات والسقوط فى مزالق فنيـة عديدة .. ولكنها أيضا يمكن أن تكون مادة لدراسات نقدية يثار من خلالها العديد من القضايا الفنية والفكرية .

وحرام أن يظل هذا الكاتب الروائى غزير الانتاج محاطا بهذا الستار من التجاهل والصمت .

رجب سعد السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محفـوظ شقـرون

الـقمـــح

كنا فى سجننا .. عندما نعاف أنفسنا ، أو عندما نسأم بعضنـا نلتـف حوله ، ونستمع اليه .. وكنت شخصيا كثيرا ما أجتر أفكاره ، وأقف عندها مدهوشا ، مشدوها ، حائرا ، قلقا لانه كنت لا أدرك لماذا هو يهيم بالقمح ولا يهتم كثيرا بالقمح المسلط علينا ، ولماذا يعتنى به كل هذه العناية ، ويركز عليه ، ويتحدث عنه بكل إسهاب وحماس ، كأنه معاناته الذاتية .. أو كأنه شغله الشاغل ، وعشقه ، وعمقه ، وبعده ، وحلمه .

... لقد كان رغم توتراته يمعن فى الحديث عن الارض وعن القمح .. ويصف الأتربة ، والسهول ، والأخاديد ، والمناكب ، بذات الشمائل ، ويصف القمح بأنه أفضل النعم وأجدرها بالتقديس باعتباره مصدر القوة والمناعة .. وكان يقول : هذا الشيخ قبل أن يزج به فى هذه الغياهب اللعينة كان يناضل مع الارض حتى تخصب وتضع الخير والبركة ، وهو الآن فى نضال مرير متواصل من أجل الارض الجليلة ، فيفنى فى سبيل حبها .. فلا يترك العلاقات تضمحل والصلات تنفصم ، والعرى تفتر ، والتعلق يتقلص ، والعشق يخور ، ويصبح لا عمق للعمق لان من لا أرض له يرسم عليها نضاله وأحلامه ، فهو لا منبت له وكمن يعيش بلا نهار ، وتواجده ، وهم فى وهم .. وكان يقـول : يجب أن نعطى مفهوما جديدا لهذه الثورة المباركة ولكل ما يتمخض عنها من نضـالات مجيدة لان هذا الغضب ، وحـركات الـرفض ، ودلالات الادراك ، واليقظـة والمسؤولية تؤكد بكل قطع أن وجودنا تجاوز مرحلة المـراهقة والهـوامش ، وترشد ، وتأهل .. وتثبت أن موقعنا فى قلب المدار الصحيـح ، ويجسـد الفعل والعمل ، وينجز البناء والحضارة .. ويجب من الآن فصاعدا أن نتوخى منطق العقلاء ، وأن نتكلم لغة الاحرار ، وأن نقرن بين الحرية والقمح قرانـا متينا لا يفرق بينهما مقدار شعرة ، ولا ترجح بينهما مثقال ذرة ، لان القمـح عنوان الحرية ، ورمز الكرامة والمناعة ، واذا ما انهزمت الحرية فى شبـر من الارض أو فى قرية أو مدينة أو مصر ، فلأن القمح قد انهـزم قبلهـا وفقـد معيـاره ومنـاخه ، وأصيب هو الآخر بوباء التبذير الذى لا شـك تكـون

مؤخرات أيامه قحطا ، وافلاسا ، وجوعا .. إن الذين يستعملونه باسراف يلبسون عواقب ذلك أردية العار من حيث لا يشعرون ، ويأكلون المسغبة ، ويمضغون أشداقهم ، ويطحنون ضروسهم ، ويأكلون ثديهم من وطأة الوهم ، ومن شدة الجوع والقلق ، والعار كل العار لمن لا يفنى من أجل أن ينمو ، ويفوز ، ويتواجد .

... وكان يسرد علينا صورا من الحياة .. قال : فى قريتنا مآسى فظيعة ووقائع جارحة تعبر عن مدى التبعية ، والتفاهة .. عن الغالب والمغلوب .. عن حالة الذين يستهلكون القمح والذين يمتلكون القمح .

... واحد من هؤلاء ، وهو شيخ فى خريف العمر ، أراد أن يتزوج امرأة رابعة ، وهى فتاة فى ربيع العمر ، غضة طرية العود ، يافعة ، ريانة ، لم تصل بعد الى سن ابنته السابعة ، فتزوجها بكل سهولة وبدون أية ممانعة أو استنكار لانها لا تملك الخيار وأن والدها يعتبر من ملاحقه ومن الذين يغدق عليهم العطاء ويحسن لهم الكيل ويوفى لهم الميزان .

... وآخر يجند الجياع أيام الحرث ، فينبشون الارض ويشقونها بمحاريث يجرونها كالاحمرة الهزيلة ، وفى الصيف وفى أشد أيامه يحصدون الزرع ويقتلعونه بأيديهم ، ويدرسونه ويدقونه دقا حتى تخور قواهم ويتهالكون ، ورغم معاناتهم وشقاوتهم فانه لا يمكنهم من حقهم كاملا لانهم لا يقدرون أن يطالبوا بذلك ، لانه يملك السياط والقوة ، ويقدر أن يرميهم فى كومة الجير .. ولانه ـ علاوة على ذلك ـ يحمل عنوان السيادة .

... وآخر يفرض سيطرته ويبسط نفوذه ويجسد كل شهواته باستعمال هؤلاء لسحق أولئك .. مرة دعاهم لالحاق الضرر بملك الغير حتى تدمروا ، وصاروا منهم .. ومرة ء صفو الغير فقلب فرحهم الى مأتم فانتصبت فيه المنادب والناحى وحلقت فيه الرؤوس وشرهت فيه الوجوه ، وعريت فيه الصدور حتى بانت المفاتن .. ومرة أوحى لهم بسرقة خرفان أرملة بعد أن كسرت رجل جملها القوي المحنى ، كل ذلك لانها شابة ، فاتنة لدود ، منوع ، تحترم نفسها وتجفو الرذيلة والفضيحة .. إن هذا الاثم الزنيم عمد ذات ليلة من ليالى الشتاء الى طحن أكياس من القمح حمولة عشرة جمال دفعة واحدة ،

وغرض على نساء احلامه المجيء اليه مصحوبات بالرحى وانكببن فى تصفيقته على ادارة الرحى من غروب الشمس الى شروقها بدون استراحة أو توقف ، لقد صار هرم الطحين كبيرا ضخما ، وكانت جعجعة الرحى قاصفة مدوية ، وكان لهيثهن يتصاعد من هنا وهناك يشبه الى حد كبير شخير الصدور المسلولة ، وكان عرقهن يتصبب بغزارة كعرق المعذبين فى الارض .

بان بتلك الواقعة التى جمعت الذئاب الكاسرة ، والنعاج الضعيفة المغلوبة على أمرها هى تعبير صارخ بأن المستهلك هو الانسان الصفر ، وأن المنتج هو إنسان الفعل والقوة والمناعة .. وحقيقة أخرى هى أن القمح الوطنى يبنى فى النفس فرحة الحياة ، ويشع على الوجدان ألوانا من الدفء وغدق اللذات على الايام ، وحلو الأزمنة .. وقمح البحر يبعث الخذلان والتدجين ، ويفقد الحصانة ويعرض القيم للهزات والزلازل والتوترات .

... من أحاديثه المأثورة . إن زوجتى لو لم تكن مثلى تدرك أهمية القمح لما تزوجتها .. لقد رفضت قبلها تلك التى يسيطر عليها حب عقود الذهب ، وقوارير العطر ، وألبسة الحرير .. وتلك التى تعشق المبانى الشاهقة ، وتفاخر بالبيوتات الواسعة ، وبما فيها من أسرة ، وآرائك ، وكراسى ، وزرابى مبثوثة ، وثريات معلقة ، وستائر زاهية الالوان .. وتلك التى تهيم بالجاه ، أو تلك التى تعجب بجمالها لانها فاتنة ، ساحرة ، فتحسب نفسها أبهى من القمر ، وأسطع من الشمس ، وأصفى من الفجر تثمل بالاطراء . وتترنح عندما يركع لها الصناديد والعباقرة والعظام .. لقد اخترت خضراء وتزوجتها لانها مثلى ، تموت فيه ، وتحيا من أجله ، وتناضل فى سبيل نموه وازدهاره.. إنها تدرك حقيقته .. فى عز الصيف وفى أيامه الحارة ، تحافظ على حبات الذهب المنظومة فى السنابل وفى أوقات هيجان الشمس ، تطهر المنادر وتعطرها بالبخور كامل أيام الدارس ، وتمعن فى إكرام الحصادين ، والنقاطين وتوجههم الى معاملة الحقول معاملة حسنة، والى احتضان باقات القمح بكل لطف وفى شىء من الاكبار والاجلال .

... وحتى أبنائى ، وكل أفراد عشيرتى كنت أحرضهم على إثراء الارض بما فيها السباسب والحروش ، وعلى العمل لتوليدها حبا جما وأهرامات عالية من الأكياس . وكنت أنتزع من أعماقهم رواسب التواكل والتكاسل وأبعث فيهم

أنفاسا جديدة وعزائم قوية تحقق لهم الاكتفاء ، وكنت دائما وأبدا أردد فى أعماقهم أن القمح الوطنى يحصن الاجسام والعقول من الجراثيم الفتاكة ومن طاعون التبعية والتدجين .. وقمح البحر آفة منكرة تسلب العقل لبه وحكمته ، وتحشوه بالوهم والضعف والهزال ، وتجرد الجسم وتعريه ، وتشيع الفضائح، وتجعل الحرائر يأكلن بأثدائهن .

... وأنا لما خرجت من المستشفى ذات مرة بعد أن قضيت به قرابة العامين ، عوض أن أتوجه مباشرة الى دارى لاستقبال ضيوفى والوافدين علي ، ذهبت الى أرضى وخيرت أن أكون أول من أصافحه بمهجتى وبخلجات قلبي ، وبنظرات عيني ، وتركت الجميع لزوجتى ترد على تمنياتهم،وتشكراتهم على تعاطفهم ، وتروى لهم صمودى فى وجه الداء الى أن تغلبت عليه فى فترات شراسته واسترجعت الحياة وكسبتها من جديد .. لقد حدثتهم خضراء حتى عن هذياني عندما كانت مطارق الحمى تضرب رأسى ضربا عنيفا ، وتدقه من حين لآخر دقا مهلكا .. فعلا وقتها كنت أهذى بالقمح وأذكر اسمه ، وأردده حتى استراب الاطباء فى أمر مرضى ، هل هو الجرثوم الرئوى اللعين أو هو عقدة القمح ، ولولا الحمى الحامية فى رأسى وصدرى وأطرافى ، والسعال الشديد الذى كان يقلقنى ويكاد ينزع روحى ويقربنى من أسوار المقبرة لاذهبوا انى الظن أن مرضى هو علة جديدة منشؤها هؤلاء المتكاسلون الذين لا يعملون من أجل القمح ويستهلكونه فى استهتار وتجنى .

... وأولئك الذين يستعملون القمح كسلاح لغزو العقول ، وطعن الضمائر. واذلال النفوس ، وابعد من ذلك يستعملونه لاستعباد الغير وذبح الفضيلة وانتهاك الحرمات وصنع المآسى ورفع ألوية الاجرام .

... وفى سجنى الذى حبست فيه اثناء المحنة الاولى فانى لم أنس القمح.. فلا وسائل القمع والتعذيب التى اكتويت بها ، ولا عمليات قتل الذات ، ولا محاولات التجريد والمسخ ، ولا تلك العزلة ولا ذلك التجويع ، لم تنسنى نضالى فى سبيل ازدهار القمح ، لانه لا حرية ، ولا سيادة ، ولا كرامة بدون اكتفاء ، وبدون قمح .

... ولما أطلق سراحى توجهت رغم أنفى ، ورغم وهنى ، وضعف حالتى ، وشدة هزالى ، الى أرضى الحبيبة وصحت فى أرجائها بأعلى صوتى : أنا حر ،

أنت حرة .. ونظرت اليها فى حب وشوق ، وقلت لها : حبا وكـرامة يـا أم القمح ، يا مصدر الخير والبركة ، يا تيع القوة والسيادة .. وبينما أنا أردد هتافاتى فى حماس ، واذا بىأشعر بيد لطيفة تجذبنى وتضمنى اليها فى رفق وحنان .. إنها الخضراء زوجتى ، قالت لى ودموع الفرحة تنهمـر من عينيهـا السوداوين : كنت على يقين من أنك ستأتى الى هنا كعادتـك ، وستطـوف بأطراف أرضنا العزيزة وستصافحها ، وستقبل تربتها وتسقيها بدموعـك وتحييها من أعماق أعماقك ، فانجذبت مثلك وجئت ركضا شوقا اليك ، وجئت استقبال المهنئين والمباركين والمحتفلين بعودتك عزيزا كريما .. إنى فى أزمنة غيابك كنت لا أفارقها وأزورها وأعايشها فى فترات فصولها وأحـرص على تعميرها ، وعلى تنمية إنتاجها ، والمحافظة على مستوى عطائها كما وكيفا .. كنت أتفانى فى بذرها أيام البذر وفى حصادها أيام الحصاد ، وكنت أنتعش عندما أراها محروثة ، هشة التربة ، وعندما يكون زرعهـا أخضـر يافعـا ، يانعا ، أسعد عندما تثقل السنابل وتميل برؤوسها وتشبه سبائك الذهب.. وعندما يحين وقت حصادها ، فاحتفل كالعادة وأعطرها بالبخور والاكاليل .

* * *

... وبعد سنين عديدة انسلخت من عمرى ، وانسلخت معها جل ذكرياتى فى السجون الثلاثة التى مررت بها فى حياتى وطبخت فى مراحلها أيام شبابى وعزوبتى ، لم أعد أذكر الا تصورات هذا الرجل التى مـا زلت اجترها كمـا أجتر معاناتى الذاتية ، وعشقى ، وبعدى .. لانها ما زالت تتجاوب فى أعماقى وفى واقعى كقرع الطبول وكأصداء النحاس .. وما زالت كذلك ولحد الآن فى كل لحظة تتجلد كالمرمر ، وتردد عباراته الخالدة . من لا يبارك القمح هو انسان صفر . إن الحياة بدون قمح هم وتبعية ، ووهم ...

محفـوظ شقـرون

ARCHIVE

أحمد زياد محبك

شجرة التفاح

الشمس تسطع من خلال الغيوم الداكنة ، فترسل أشعتها دافئة ، تمسح الندى عن البراعم المتفتحة ، ثم تمر بها نسمة باردة ، فتلسعها ، وتذهب عنها ما ادخرت من دفء .

كان يوما من تلك الايام التى يلتقى فيها الشتاء بالربيع ، الشتاء فى أخرياته ، ينسحب هادئا بطيئا ، محدودب الظهر ، راعش اليد ، والربيع يقدم فى اندفاعة واقبال ، طلقا متفتحا .

فى ذلك اليوم ، أمسك الجد العجوز بيد حفيدته الصغيرة ، ومضى الى حديقة البيت ، كانت يده المعروقة الراعشة ، تمسك بيدها البضة الناعمة . وهو لا يدرى ، أحفيدته تقوده ؟ أم هو الذى يقودها ؟! أهى التى تعتمد على يده ؟! أم هو الذى يعتمد على يدها ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت خطواتها جريئة سريعة ، تستحثه ، وكانت خطواته هادئة بطيئة ، تستمهلها ، وهى تناديه بصوتها الناعم :

ـ يا الله ، يا جدى ، عجل !!

وهو يقول لها بصوته الاجش :

ـ لا ، لا يا ابنتى ، لا تستعجلى !

وعلى كرسى صغير ، قعد فى الحديقة ، أمام شجرة تفاح كبيرة ، وقد عقد يديه على ركبتيه ، تغمره الشمس بدفئها اللذيذ ، وهو يرسل بصره وراء حفيدته ، وقد مضت تعدو من ركن الى ركن ، تقطف زهرة من هنا ، وتلتقط أخرى من هناك ، وتطارد فراشة ترف بجناحيها الزاهيين المتألقين فى الشمس الساطعة .

وبعد قليل رجعت اليه تعدو ، لتضع تحت أنفه ، بيديهـا الصغيـرتين ، زهرات ملونة ، تنسم شذاها الناعم ، ثم التقط زهرة صغيرة ، وسألها :

ـ ما اسم هذه الزهرة ؟!

أطرقت قليلا ، ثم رفعت رأسها ، وقالت :

ـ نسيت يا جدى ، قل لى أنت ، ما اسمها ؟!

فأجابهـا :

ـ هذه بنفسجة .

فأضافت على الفور :

ـ تذكرت ، والله كنت سأقول لك « بنفسجة » .

ثم نثرت الزهرات بين يديه ، فتسـاقطت عـلى الارض ، فـوق العشـب الاخضر ، ولكن لم تلبث أن انثنت فوقها ، والتقطت منها واحدة ، وسـألت جدهـا :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ما اسم هذه يا جدى ؟

فأجابهـا :

ـ هذه زهرة تفاح .

نظرت اليها مدهوشة ، ثم نظرت الى الشجرة التى هى أمامهمـا ، وقـالت متعجبـة :

ـ ولكنى عثرت عليها هناك ، تحت تلك الشجرة .

وأشارت الى شجرة صغيرة ، بعيدة ، فأجابها الجد :

ـ نعم ، هل نسيت أن لدينا شجرتى تفاح ، واحدة هنا كبيرة ، وأخرى هناك صغيرة .

ونظرت الى الشجرة الكبيرة التى هى أمامهما ، ثم سألت :

ـ ولكن ، ولكن ـ يا جدى ـ هذه الشجرة ليس فيها زهر ؟!

وكانت قد حجبت الشمس غيمة سوداء كبيرة ، فغابت أشعتها الدافئة ، وسرت فى الجو نسمة ريح باردة ، ارتعشت لها الازهار المتفتحة على الاغصان، وتساقط بعضها ، وطار عصفور كان يقفز من غصن الى غصن ، وعمت الجو قتامة معتمة .

وأرسل الجد العجوز زفرة طويلة ، ثم قال لها :

ـ هذه الشجرة يا بنتى قديمة جدا ، لقد كبرت وعجزت ، وما عادت تزهر ، ولا تحمل .

فسألته :

ـ ولماذا تحمل تلك الشجرة الصغيرة ، وتزهر ؟

فأجابها :

ـ لانها ما تزال فتية صغيرة .

فسألتها :

ـ وهل هى ابنتها ؟

فضحك ، وأجابها :

ـ نعم ، هى بذرة من ثمارها .

فأطرقت قليلا ، ثم انطلقت الى جذع شجرة التفاح الكبيرة ، وراحت تتأمل أغصانها ، وتنظر اليها ، ثم دارت حول الجذع دورتين ، وهى تتفحصه ، وتمر عليه بأصابعها ، ثم رجعت الى الجد ، تسأله :

ـ وما دامت لا تثمر ولا تزهر ، فلماذا لا تقطعها ، يا جدى ؟

وعصفت ريح قوية ، حنى الجد العجوز ظهره ، وادثر بمعطفه ، ودمـدم فى الافق البعيد قصف رعد متصل ، وادلهمت القمـة ، وتطـايرت العصـافير ، وتناثرت الازهار ، وسقطت بضع حبات من المطر .

ونظر الجد العجوز الى حفيدته ، وهى تنتظر جوابه ، ثم قال لها :

ـ ولماذا نقطعها ؟! هل نسيت أن العصافير تأوى اليها ، وتبنى أعشاشها فيها ، وهل نسيت أنك تستيقظين كل يوم صباحا على صوت تلك العصافير؟! وهل نسيت أيضا أن يوم أمس علقت لك حبـلا على غضنها ، وصنعت لـك أرجوحة ، لعبت بها طويلا طويلا . وغدا ، ستلعبين فى الصيف تحت ظلالها، فهى أكثر أشجار الحديقة ظلا .

وتتتابعت حبات المطر ، وتتالت قعقعات الرعد المتفجر ، وسقطت على وجه حفيدته بعض حبات المطر ، فمسحها بيده الراعشة ، ثم أمسك بيدها ، ونهض ، ومضى يجر خطواته ، نحو الداخل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم تلبث أن سألته حفيدته ، وهى تمضى أمامه ، تشده من يده :

ـ وهل كانت تحمل يا جدى ؟!

فأجابها ، وقد أخذت حبات الطر تتألق أمامه على العشب الاخضر :

ـ لو رأيتها يا بنتى ! كانت أجمل شجرات الحـديقة ، وأكثرها عطـاء ، كانت تزدان فى الربيع بالزهر ، وتميل أغصانهـا فى الصيـف ، من كثـرة الثمـار .

وأمام باب المدخل ، وقف الجد ، يرنو الى شجرة التفـاح الكبيـرة ، وقد انهمر المطر ، وانتسجت غلالة شفافة ، تبدو من ورائها شجرة التفاح ، مغسولة زاهية ، ثم التفت ا حفيدته ، التى تناولت يده الكبيرة المعروقة بين يديهـا البضتين الصغيرتين ، ومضى يقول لها :

ـ لو تعرفين يا بنتى !. تلك الشجرة ، أنا غرستها هناك . كانت عـودا صغيرا ، ثم رعيتها ، وتوليتها بعنايتى ، كنت كل يوم أعمل من أجلها ساعات وساعات ، أقلب ثرابها ، وأزيل الاعشاب من حولها ، وأشـذب أغصانهـا ، حتى قويت واستطالت ، وأخذت تزهر وتثمر .

وكانت حفيدته ما تزال تعبث بيده الراعشة ، وتمر بانامله على عروق يده الزرقاء النافرة بقوة ، وتدغدغ الجلد المتغضن . ولم تلبث أن سألت :

ـ لماذا يدك يا جدى ليست مثل يدى ؟

فأجابها ، وهو يمضى بها الى الداخل :

ـ لانى كبير جدا ، يا بنتى ، قديم من زمان ، مثل تلك الشجرة .

وعلى مقعد كبير ،أمام الموقد ، قعد الجد فى الداخل ، عاقدا يديه على صدره، فقد غمض عينيه ، أما حفيدته ، فقد رجعت الى المدخل ، ووقفت تـرنـو الى الحـديقة .

وكان المطر ينسكب غزيرا ، يغسل البـراعم المتفتحـة ، وهى صامـدة على الاغصان بقوة ، متشبثة بها ، تتلقى القطرات ، فتشربها ، وتنتظر بعد ذلك الشمس والدفء .

احمـد زيـاد محبـك

ـ حلـب ـ

ضياء قصبجى

جلســـة خـريفيـــة

كانوا يحيطون بمنضدة صغيرة مربعة الشكل تعلو على ضفة نهر منخفض.. في شهر خريفى كانت الريح تعصف بأوراق الشجر وتنتزعها من مكانها ، لتجعل منها أراجيح صغيرة ، ترسم خطوطا هادئة قبل أن تستقر فى مكان ما .. على الارض تحت وقع الاقدام .. او على صفحة الماء الجارى تسير الى مصبه .. او على رأس او كتف احد الناس الذين يسارعون بازاحتها عنهم بضيق .

ثم صوت فيه شوق الى الحديث ، ولهفة الى سماع الجواب من سيدة فى عينيها اللوزيتين عمق وجمال وقوة .. وعلى ثغرها ظمأ وتقشف .. نظرت الى الرجل الجالس امامها وهو يدخن «سيجارته» بينما يرمى بنظراته الملهمة الى صفحة النهر الرقراقة التى تطفو عليها اضواء شمس آفلة رجل مهيب..أنيق المظهر ، ومن قسماته تطل مسحات من قلق وحب خائف ، وثقـة بالنفـس مختبئة خلف حاجز شائك .

ثريـا :

ـ فادى ، انظر ثمة سحابات رقراقة بيضاء ، شرعت تقترب من مصب النهر .. ولا احد يعرف أين سيصل بها التجوال .. فكل السماء على سعتها ورحابتها ملك لها .. اما انا يا فادى فلا أجد لى مكانا (ولو صغيرا) فوق هذه الارض .. ولا مساحة (ولو صغيرة) تحت هذه السماء .. لو كنت غيمة يا صديقى لعـرفت أين أعقـد ذرات البخار .. وأين انطلق بها .. ولعرفت «وهذا هو الاهم» فوق اية أرض أهطل .

كان يلتهم الحروف من مخارجها .. وينظر مرة الى العينين ، وأخرى الى الشفتين ، وأخرى الى الكفين البيضاوين ... بالاصابع الممشـوقة المطليـة الاظفار بلون الورد .. وهى ترسم بهما .. او ربما تعزف .

قال لها بوهن وكأن عواطفه متأججة :

ـ لكن حجابا كثيفا يغلفها ويمنعها من التطواف كحمامة وديعة بقرب من تحب .

فادى ـ ترى لو انك اصبحت حقا سحابة ·· أى مكان ستختارينه لتهطل مياهك فوقه ··؟؟ أتختارين الارض العطشى ·· ام تراك ستمرين فوقها وانت ممتلئة بالعطاء والحب والخير ثم ترحلين كسراب الصحراء ، وتبتعدين عنها دون ان تهطل قطرة ماء منك فوقها ··؟··

انا (بصراحة) لا أثق باية سحابة ·· كأن السحابات يتصرفن بعشوائية كبرى ·· يفرغن مياههن فوق البحر او النهر ·· ويتركن الارض المزروعة بالحب على ما هى فيه من ظمأ ··· ويرحلن مبتعدات ·· دون احساس بأى شىء ·

شقت الحوار المحبوك كالسدى واللحمة ، فتاة اصغر سنا من ثريا ·· وأكثر تمتعا بالحياة المرح يشعشع فى عينيها المكحلتين بعناية تلفت للنظر .. تعقد شعرها البنى الطويل الى اعلى باستهتار واضح ·· وخصلات صغيرة متمردة على الشعر الذى يشبه شجرة وارفة الظلال والحنان ···

قالت :

رانية ـ هراء وعبث ·· كل ما هو بعيد عنى ·· أنا أسعى لان ألمس كل شىء ، وأتأكد من معدنه ·· ان اصابعى تتحسس حتى الاحجار التى دفعها البحر الى الشطآن ألمسها لاعرف أهى ملساء كمظهرها ·· أم انها خشنة على نقيض ما هى تبدو عليه ··· اتلمس حتى القوقعة اللامعة الجميلة ذات النقاط التى تزين قبتها البيضوية ·· اضع شقها على اذنى ، وأسمع من جوفها هدير البحر ، فيسحرنى كل هذا ·· كأننى اسمع صوت الازل ·· السكون ·· الابدية ·· انه يوحى الى بكثير من المعانى ·

لقد وهبت اصابع ذواقة ·· وبارعة فى صنع الاشياء الجميلة ·· اننى اصنع حتى أردية المناضد وأطرزها بالابرة والخيط المقصب ، الذى تجره الابرة من ثقب الى ثقب فيرسم رسوما ناعمة ، تجذب الانظار ·· اصنع حتى تمثال الحب ·· أتلمس برؤوس أناملى القماش الذى أنتقيه لنفسى ثم أعطيه لخياطتى البارعة الانامل كذلك ·· ألمس حتى لوحة الرسم ·· اضع يدى فوق الشجرة والسماء ، متجاهلة لافتة (يرجى عدم اللمس) على الرغم من اننى لا أريد أن يرانى احد وانا أفعل ذلك ، خاصة الرسام الذى يضع الغليون فى زاوية فمه ·· ويده فى جيب معطفه ·· ويحمل بيده

الاخرى الغليون من فمه فيبعده عنه .. ثم يعيده اليه مـرة أخـرى ويكرر ذلك مرات لا تحصى ·· وهو لا شك يشعر بالغبطـة مـن توارد الناس على معرضه .. يشعر بالزهـو والفخـر بما صنعت انامله ·· التى اطاعت تفكيره وخلجات دماغه ، وألمس كذلـك يـد حبيبى فارس ·· وأشعر بالدفء يسرى فى جسدى البارد ·

تناولت كف فارس المعجب بحديثها ·· وضمتها بين كفيهـا ، كعصفـور يرقد فى عشه ·· حينئذ امتلأت نفسه بالمعانى والرمز بالواقع والغياب ·· ففتح الزر العلوى لقميصه الخمرى اللون كلون النبيذ ·· وتنفس الصعـداء بينما كان ينظر الى رانية ···· بابتسامة لا تخلو من متعة غامرة ، وايحاءات لا تخفى ، تشير الى ساعات حلوة قضاها مع رانية مرة على قمة جبل ·· واخرى فى سفح واد ·· لاحت منه التفاته الى عقارب ساعته ·· والقى بنظرة الى غصن شجرة قريبة ، راح يهتز بتوءدة بعد ان حط عصفور عليه برهة ، وطـار ·· وقبل أن تخرج الافكار من فمه على شكل كلمات ·· عـادت رانيـة فـوجهت الكلمات اليه بشكل خاص موح ومثير بعض الشىء :

اليس كذلك يا فارس ··؟ ألم تقل ذات مرة ، انك كلما قصرت المسافة بيننا ، كبر حجم الحب وازدادت المساحة التى يحتلها من النفس الكبيرة ·· حينئذ ابتسم بفرح ··· وظهرت اسنانه البيضاء المصفوفة بعناية ·· واشرقت ابتسامته على نحو اظهرت جاذبية كانت لا تثير الانتباه ·

فارس ـ بل لا أحب شيئا مثل انعدام المسافات ·· وحين تنعدم الفـوارق والمفارقات ، والحواجز والقضبان ·· سوف يكبر حبى لـك ولـن تسعه نفسى بل سيفيض مثلما يفيض الماء من الكأس الممتلئة ·

«وفى موجة ضحك ·· أخذ الابريق وصب الماء فى القدح حتى امتلأ ·· وواظب على صب الماء حتى فاض ·· وشعر كل من ثريا وفادى بالامتعاض من هذا التصرف ·· بل هذا الحديث ·· حتى لاحظت رانية كل شىء ·· فكفت عن الضحك وقالت لحبيبها :

رانية ـ كفاك مبالغة وتمثيلا ·· لا داعى لوسائل الايضاح ، فنحن ندرك الامور دون ان تلجأ اليه يا فارس ··

وغمزت له بعينها منبهة اياه الى الاثنين المشاركين لهما جلستهما الخريفية هذه ·· فسعل قليلا ، وغابت الابتسامة من وجهه متوغلة فى حناياه ، قال :

فارس ـ فلتضحكى قليلا يا ثريا .. وأنت يا فادى .. انتما معا الآن ، كل منكما بعيد عن الاسر الذى يأسره ، ويلف الاسلاك حول قلبه .. انهما لا يعلمان ان الاسلاك لا تقيد القلب وانـه كلما ازدادت لفـة السلك حول القلب .. كان راغبا فى الحرية والحب أكثر .. لا بـل ان القلب الطليق ، مثل القلب السجين ، دون اية تفرقة .. الطليق يختار ما يشاء بقناعة ومسؤولية ، والسجين يختار ما يشاء بسرية تامة .. لا لا لقد اسأت التعبير فالقلب لا يسجن ولا تلف حـولـه الاسلاك ابدا .. الذى أريد ان اقوله .. ان تسعدا معا هنيهات على الاقل .. فلتمطر السحابة فوق الارض العطش .

(قاطعت رانية فارسا متضايقة بعض الشيء ، وقالت له :)

رانية ـ لقد اخفقت يا فارسى الحبيب فى السيطرة على افكارك .. واختيار فكرة منقذة تهيمن علينا بها .. أنت مشتت الذهـن الآن يا فـارس لعلك فى أى مكان آخر سوى هذا المكان لعلك هناك زهرة فوق هذه الرابية .. او حصاه فى قاع هذا النهر الجارى .. او ربمـا كنت فى هذه الاوراق الحزينة الذابلة .. لكن والاصح من كل شيء انك هنـا .. هنـا . ولا مكـان لـك سوى هذا المكـان .. كيف لا وانت تلقى فيه الدفء والغذاء .. والظل ، وكل ما تشتهيه نفسك .

«وضعت يدها مكان قلبها مشيرة اليه»

فارس ـ ثريا .. أتسأل بين لحظة وأخرى .. هـل أنت انت .. وأنـا أنا .. ورانية رانية ، وفادى فادى .. ؟

ألم تمر لحظات قصيرة أحسست فيها انت باحسـاس رانيـة .. وشاركت فيها انا فادى الشعور ..؟ للحظة احسست اننى انا ثريا وأنت فادى .. طالما ان الانسان مجرد مشاعر واحـاسيس فكيـف اشعر اننى دائما انا نفسى .. ولست الآخرين ..؟

ثريا ـ انت نبيل يا فارس .. وكذلك رانية .. ان ما قالته رانية عن الاصابع واللمس والقوقعة التى تحمل سرها داخلها .. لهـو كـلام مثيـر للاعجاب .. حقيقى .. لم نترك المحسوسات امامنا ونعقد ايدينـا خلف رؤوسنا او نربطها بوثاق متين .. فتعجز عن الاتيان بايـة حركة ثم تمتد افكارنا بالغوص بعيدا .. ؟ ها ان تفاحة امامى .. لكننى لا أستطيع ان اقطفها من الشجرة .. ثم امسح غبارها بقميصى ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأقضمها لقمة فلقمة .. ان المرء ليتساءل عن جدوى الاشياء .. عن نهايتها ومصيرها .. ماذا لو قضمت التفاحة .. وانتهت ..... ماذا افعل بعدئذ ..؟ اعود لقوقعتى ، الى نفسى لاقـول .. لـم لا أتركها معلقة فوق الشجرة .. وآتى كل يوم عند غروب الشمس الـراحلة .. وأشاهد اشعاعات بريق الشمس فوق التفاحة يزيدها احمرارا ، واشتهاء .. فاحتفظ بحبى لهـا وشوقى إليهـا دون ان استهلكها وأبحث عن غيرها .

بحرارة وحدة قاطعها فادى :

فادى ـ دعوها .. لا تحاولوا ان تتلمسوا سطح (الحطبة) لانه خشن ، لا تحاولوا ان تجعلوا منها عجينة لينة لانها لن تكون كذلك .. لكن الحطبة تعطى الدفء والنار فى حالة واحدة ، هى الاحترا ق .

«ضحك الثلاثة الاثريا .. التى احترقت ، ولكن ببطء دون نار ودون بصيص» . نظرت بعمق اليهم الواحد تلو الآخر .. وقالت بشىء من التحدى الذى لا يخلو من الخبث الانسانى لانسان غاضب .

ثريا ـ كلكم تعرفون السعادة .. اما انا فلا اعرف سوى ان اجعل عواطفى تجرى مثل ماء هذا النهر وتمتلىء مثل تلك السحـابـات .. التى اصبحت فوقنا الآن .

«رفعوا رؤوسهم ينظرون الى السماء ، التى يجوبها غرابان أسودان يتلاحقان» تابعت : وتحترق مثل حطبة ، لكن احتراقها ليس كـاملا ، اى انها تصـدر الدخان الذى يدمع العينين .. دون تلك النار التى تدفىء الجسد .

★ ★ ★

ثم نهضت .. فنهض الجميع معها .. وساروا تحت الاشجار الحزينة التى تفارق اوراقها ... متوغلين فى اعماق الغابة مبتعدين عن النهر .. الطقس خريفى ..

لكن .. من يدرى حين يجىء الربيع .. ما الذى سيفعله الربيع .....؟؟؟

★ ★ ★

ضيـاء قصبجـى

ـ حلب ـ

على العريبى

الثعبان

تساءل أهل القرية يومها : لماذا لم يسمعوا صوت حسون راعى البقر كما تعودوا أن يسمعوه صباح كل يوم ؟

ينطلق صوته بالغناء ـ وهو يصعد الجبل ـ قويا مجلجلا وكلما توغل فى الجبل يقوى صوته ، ويصبح مدويا جبارا ومع ذلك كان هذا الصوت محببا الى نفوس الكبار والصغار ، لم يكن يهمهم ماذا يقول ، ولكن يلذ لهم صوته وما فيه من نغمات مختلفة عذبة .

لم يتخلف حسون يوما عن غنائه الا فى هذا اليوم ، فماذا حدث ؟

لو علم أهل القرية ماذا وجد حسون فى طريقه الى الجبل لما تساءلوا عن صمته صباح ذلك اليوم ، فحتى أبقاره فزعت وولت الادبار مذعورة من هول ما رأت ، ولو لم يكن حسون راعيا ماهرا لما استطاع أن يتحكم فى هذه الثيران التى هاجت وخارت فرفعت أذنا بها الى أعلى وطفقت فى الهرب ، ولما هدأ من ثورتها ، التفت وراءه فوجد ابراهيم جثة هامدة لاحراك بها . لقد لدغ الثعبان الرجل والتوى حول عنقه ، وأشرقت الشمس فازداد وجه الرجل زرقة وازداد الثعبان هيجانا وثورة .

وبسرعة فائقة جال بخلد حسون هذا الخاطر .

قام ابراهيم باكرا وتوجه الى الفخ الذى نصبه لصيد الارانب والثعالب كعادته . لم ينم ليلته تلك ، كان النعاس يفاجىء جفنيه من حين لآخر . ولكنه أراد أن يتفقد الفخ ، ثم يستسلم للنوم حتى الضحى ، لم يستطع أن يقدر المسافة بينه وبين الفريسة التى قبض عليها الفخ بفكيه القويين وتكدست كبقعة حبر سوداء على ورق أزرق ، اقترب من الفخ واذا بالفريسة تستطيل ، وفى طرفة عين ارتمى الثعبان بثلاثة أرباع طوله وجذبه بقوة اليه فسقط الرجل

وافرغ ما تحويه جعبته من سم زعاف ، وفى برعة تمدد الرجل وأخذ الثعبان فى لدغه بين أونة وأخرى .

لم يكن ابراهيم قد رأى شيئا مزعجا فى آخر ليلة من حياته . لو تم ذلك لايقظ زوجته وقص عليها رؤياه كما كان يفعل دائما ، فقد كانت رؤياه قصصا عجيبة ينقلها لأصحابه فى القرية ، ويتناقلها الصغار والكبار على السواء .

فقد حدثهم أنه رأى فى نومه حبلا طويلا غليظا طوق القرية والتف حول عنق بعض السكان فكاد يخنقهم ، ثم تحول الى عفريت أكول فالتهم الرجال وأكل بعض الحيوانات ثم أفسد الزرع والشجر واختفى عن الانظار .

وتوقف ابراهيم عن الكلام ثم واصل قص رؤياه .

لم يستطع أحد أن يتحرك ، أو ينبس ببنت شفة ، ثم أصيب أهل القرية بالبكم فأصبحوا يتخاطبون بالاشارة ، ثم كفوا عن الحركة وأصبحوا أصناما من حجارة ، واصطفوا فى ساحة القرية بأطفالهم ومواشيهم ، ولما نبح الكلب استيقظ الرجل وحمد الله على السلامة . وعندما سمع معلم القرية بالرؤيا الغريبة قال فى اقتضاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هو القحط والجدب يا جماعة

أما الاطفال فقد تيقنوا من وجود ثعبان ضخم له قرنان طويلان وشوكة معقفة يضرب بذنبه أطراف القرية ، أما رأسه ففى أعلى الجبل يصطاد الذئاب والثعالب ويحشرها فى بطنه حشرا ويسمع فحيحه فى الليل يصفر كالريح .

وعندما تلتهم الذئاب بعض الخرفان أو النعاج لا يصدق الاطفال ذلك ، فليس من أكل سوى عفريت القرية الذى يطل عليهم فى الليل برأسه الأسود الضخم فيختفون تحت اللحاف والبرانيس خوفا من بطشه .

لقد نغص العفريت على الأطفال حياتهم فكفوا عن ألعابهم وبدالهم العفريت فى كل عجاجة صفراء تنطلق فى ساحة القرية وقد اتخذها مرقدا له .

نسى أهل القرية رؤيا ابراهيم ، أما الاطفال فلا حديث بينهم الا عن الثعبان الذى يهدد القرية من حين لآخر .. ومن يدرى فلعله يهدد العالم الخاص بهم .

وخرج أهل القرية الى الساحة يتساءلون عن صمت حسون وتجمعوا كتلة واحدة ينتظرون مجيء الطفل الذى أرسلوه يستطلع جلية الأمر . ومن بعيد رأوا حسونا قادما ودبوسه الكبير بيده اليمنى ، وهو يمشى فى تخاذل يقدم رجلا ويتباطأ بالأخرى ، لم يكن طلق الوجه ضاحكا كعهدهم به ، تساءلوا فيما بينهم وبين أنفسهم :

« ماذا حدث ؟! »

واقترب حسون شيئا فشيئا وهمس .

ـ لقد فعلها

ـ من ؟

ـ لقد وجدت ابراهيم ملدوغا فى سفح الجبل

وتوجه الجمع الى المكان فى صمت وخشوع ، أما الأطفال فهم يقفزون بسرعة عجيبة ، ويتعجلون الوصول لمعرفة سر الثعبان الذى ملأ حياتهم .

ومن الغد انطلق صوت حسون مرعدا مزبدا وكلما ارتفع فى الجبل وتوغل فى الشعاب ازداد صوته قوة وعنفوانا .

وبقى سر الثعبان الأسود المخيف غامضا فى أذهان الأطفال يطل عليهم من حين لآخر كأنه حلم مزعج .

على العريبى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد الفهيرى

انـــت ..وزوجتـــك .. والحـــارس الـذى يـطـــاردك

قالت لك زوجتك زليخا أكثر من مرة ـ وهى تنظر اليك باحتقار مقيت ـ : «بختى راقد والزمان ظلمنى بك ..» وسكت .. لم تستطع ان تقول لها بأنك وضيع وحقير عندما تزوجتها وبأنها عاهر بالجبلة وتستاهل ان يحلق لها رأسها .. ثم ترجم .. لسان زوجتك سليط .. قذر .. لا يتورع عن استعمال أقبح النعوت وأبشع الاوصاف فى مشاداتها معك .. شبهتك بالحمار وبالخنزير ... وسكت جبنا ...

رددت مع الصبية ببلاهة بعض الجمل المتقطعة من القرآن .. ما حفظت شيئا .. كسرت الجمل .. عوجت نطق الحروف .. تبسط معك المؤدب كثيرا ساعدك .. ولكنك كنت جحشا .. جلمودا .. قرصك فى بادىء الامر .. لكزك .. ضربك بالفلق ... كان رأسك محشوا بالتبن .. رماك فى ركن من السقيفة وراء الصبية تشم فساءهم .. غضبت .. قررت ان تنتقم .. ان تسرق منذ ذلك اليوم « زوز دورو » من أجرة المؤدب كلما أعطاكها أبوك كل يوم خميس لتسلمها الى مؤدبك شماتة فيه ونكاية به ... ومحوت لوحك بالطين وعكفت على مضايقة الاطفال ...

عينا الحارس تكتسحان ذاكرتك المشوشة المتعبة .. تحس برجفة قوية تهز جسدك المنهوك .. عينا الحارس تنظران اليك .. تنفذان الى داخلك .. تضرب الحمار بقوة .. يتمايل حمارك الهرم بحمله الثقيل .. ينقلب زنبيل الملح فى أحد الخنادق ... تترك الحمار وشأنه .. تهرب .. تتسلل بين النخيل متسترا بالاغصان وأوراق الاشجار .. تجرى بخفة متلفتا وراءك .. تقفز فوق الخنادق .. تخترق برك الماء الباردة .. أخيرا تصل الى مكان آمن .. تتنفس الصعداء .. تهم بالجلوس داخل العريش .. فجأة تسمع حركة بقربك .. تلتفت .. الحارس ينظر اليك بغضب نارى .. يسد عليك

المنافذ .. يقبض عليك .. يجرجرك ... الآلة الكاتبة تطقطق .. ما عـاد ايقاعها غريبا عنك ...

أبوك رجل جلف .. صعلوك .. لا يتأخر عن ضرب أمك وضربك واخوتك الخمسة القذرين الحفاة لاقل الاسباب .. يسب امك ويلعن والديها ولا يتوانى عن وصفها بالـ (...) أمامكم ويهددها دوما بالطلاق ويتركها تشهق وتذرف الدمع ويخرج الى الواحة عشية ويحتسى مع اصحابه خمر النخيل الردىء وفى الليل يضاجعها وانت لما تزل صاحيا ...

أبوك رجل تافه يقضى أكثر يومه وهو يضرب فى الشوارع عارضا بضاعته للبيع .. وأمك امرأة بائسة تجثم كامل يومها وراء خيوط الوبر والحريـر تصنع البرانيس والجبائب بالكراء ...

وفى المساء يعذبها أبوك ليأخذ منها ما تحصلت عليه مـن نقـود أجـرة عملها ...

يوم تزوجت ـ أو بالاحرى يوم زوجوك من زليخا جارتكم ـ لم تفاجأ عندما اكتستحتها فوجدتها ثيبا فزيارات «البرقاوى» لها لا تخفى عليك .... ولما سمعت دقا عنيفا على الباب يستحثونك على انهاء الامر واخراج قطعة القماش الملطخة .. غضبت .. وهددت بفضح زوجتك زليخا بين المـلأ ... ولكنهـا كانت داهية .. هددتك .. قالت لك : «سأخرج للناس واعلن انك (....)» .. وكان أن سكت مهزوما ...

اقتحم أبوك يوما سقيفة المسجد .. كان غاضبا .. سكتت جوقة الصبية عن ترديد جمل القرآن .. فتح المؤدب فمه مشدوها .. اتجه اليك أبـوك حانقا .. شعرت بالفزع فتسمرت مكانك .. خلت نفسك حشرة ضئيلة .. جذبك من قميصك المرقع القذر الفاقد اللون .. ظهرت عـورتك فانكمشت على نفسك كالقنفد .. حملك أبوك من قميصك كالعقاب يحمـل عصفـورا صغيرا .. خطفك ككمشة من الملح .. أحسست بنفسك معلقـا بين الارض والسماء .. اخترق بك الشارع .. دخل بك المنزل وأنت ترتجف هلعا .. رماك تحت الحمار كما ترمى الاشياء التافهة اشبعك شتما .. سب القابلة التى ساعدتك على الخروج من بطن أمك .. صفعك وبصق عليك وطلب منك

ان تصطحبه منذ ذلك اليوم فى جولاته اليومية ·· تنفست الصعداء رغم شعورك بألم الصفعة لانك تخلصت أخيرا من سجن المؤدب ···

احسست بغضب مكبوت يغلى فى داخلك ·· تمنيت لو ان القدر ينصفك فتتمكن من «البرقاوى» فتكتم أنفاسه وتزهق روحه مرة واحدة ·· لا ·· ستحفر له حفرة فى منابت الملح وتضعه فيها مقيدا وتتركه هكذا للملح يأكل لحمه حتى الموت ·· لا ·· ستعامله بأكثر قسوة ستخصيه كما تخصى الثيران وتتركه هكذا يعانى الامرين ويموت فى اليوم الواحد ألف مرة ··

تسهر قليلا أو كثيرا وأمامك الكانون الطينى القديم وعليه براد الشاى··· وعندما تسكن الحركة تضع الزنبيل على ظهر الحمار وتدفعه أمامك ·· تتسلل فى الشوارع كالشبح متجنبا الانظار ··· وعندما تصل الواحة يكون السكون قد خيم على البحر الاخضر فلا تسمع سوى صوت الصرار الحاد ونقيق الضفادع ·· تواصل سيرك عبر مسالك الواحة ·· يعترضك بعض «الخماسة» العادئين ومساحيهم فى ايديهم بعد ان اتموا سقى المزروعات والنخيل ·· تحييهم باقتضاب وتتابع سيرك فى اتجاه «الشط» وحمارك يمشى أمامك ينظر الى الظلام ببلاهة وعندما تصل الى منابت الملح توقف دابتك قرب الحفر البيضاء وتبدأ فى جمع الملح ·· تملأ الزنبيل وأنت تلتفت الى كل الجهات متجنبا كل المفاجآت تحث الدابة على الاسراع تحت جنح الظلام وأنت عائد تضربها بيدك الغليظة على مؤخرتها وعلى بطنها ··

اعترضك «البرقاوى» ليلة خارجا من منزلك متسللا نظر اليك باستخفاف·· احسست بالغضب يغمر قلبك اشتهيت ان تلعنه·· ان تذكره بأصله الوضيع·· ان تفضح فسقه ·· اشتهيت ان تقول له بملء فمك النتن : «يا برقاوى يا مسمار القصعة ·· يا هميل يا قليل الاصل ·· يا خبيث ·· يلعن بوك الكلب .. » فتشفى بذلك غليلك وتبرد النار التى تأكل أعماقك اشتهيت أن تسحقه بضربة حاسمة ·· ان تطحن بدنه الصغير ·· انت عظيم المنكبين ، قوى الساعدين طويل القامة ·· وهو قزم ·· ضعيف البدن ·· قصير الاطراف ·· ولكنك حمار جبان ·· لا فرق بينك وبين دابتك ···

ودخلت منزلك ولم يغمض لك جفن فى تلك الليلة يتسلل «البرقاوى» الى منزلك بعد خروجك .. ينام فى فراشك يضحك واياها على غفلتك وبلاهتك.. أنت أول من عرف .. ولكنك سكت .. أنت مجبول على الخوف .. تخاف من البرقاوى أن يضعك فى السجن .. ان ينفيك من القرية .. ان يقطع عنك رزقك ويعذبك ...

تفرش الملح المبلل على حصير قديم قبل ان تشرق الشمس حتى يجف ويكون صالحا للبيع فيما بعد .. وقبل ان تبدأ جولتك اليومية فى شوارع القرية تتناول صحنا من الهريسة فى حانوت جلول «الهرايسى» .. تمشى.. وتمشى حتى تحس بالاعياء يسرى فى قدميك العاريين وانت تنهق «هاو الملح.. هاو الملح..» وتردد الارجاء صدى صوتك الاجش القبيح .. وتبيع ما كتب لك ان تبيع وترجع الى المنزل وقد حملت بعض اللوازم وعلى رأسها قرطاس الشاى الاحمر ...

فكرت يوما أن تستدرج البرقاوى الى جلسة خمرية منفردة فى غياهب الواحة الكثيفة .. وبعد ان يفقد الوعى تصطحبه الى بركة ماء عميقة وهناك تقوم بتقييده وربط حجر ثقيل الى جسده ثم ترمى به فى الماء فيستقر فى قاع البركة العميق وترجع أدراجك الى المنزل وقد ارتحت من شره .. ولكنك جبان حقير .. أنت لا تستطيع حتى النظر فى عينيه .. البرقاوى داهية خبيث وأنت صعلوك بليد ...

نادتك مرة أمك البائسة .. أرادت أن ترسلك الى منزل احدى قريباتكم فى الاحياء الغربية لتستلف منها بعض القوت .. رفضت الذهاب .. توسلت اليك .. حرنت .. هددتك بحرمانك من وجبتك فى العشاء .. ولكنك امتنعت عن الذهاب .. عنفتك وعضتك فى كتفك ودعت عليك دعاء تقشعر منه الابدان .. وبت واخوتك جياعا .. وفى الصباح تسللت من فراشك الى منزل الجيران خفية ونزلت الى «الخابية» .. كالفأر القمىء وأكلت التمر حتى أسكت جوعك الذى حرمك من النوم ليلتها ...

فاجاك الحارس يوما وانت تجمع الملح .. طاردك .. تسللت الى القرية عبر الواحة .. ولكنه لم يتركك .. تعقبك يريد ان يـزج بـك فى السجـن هذه المرة .. ركضت كالحمار الخائف .. دخلت اول خربة صادفتك .. هدك الاعياء هدا .. لهثت كالكلب المتعب ... انطرحت على التراب القـذر تبغى قليلا من الراحة .. لمحت ظلا يسد باب الخربة .. تجمدت فى مكانك.. أذهلتك المفاجأة .. أحسست بيد قوية تقبض على قلبك وتعصره عصرا .. عينا الحارس تنظران اليك بغضب نارى .. تنهض مستعـدا للافـلات .. يقبض عليك .. تحاول التملص منه .. تدفعه .. يشد عنقك بيديه .. يشد بقوة .. تحس بالنفس يضيق .. يشد أكثر .. تحس برأسك توشك على الانفجار ..

تململ تحت النخلة وهو منطرح على ظهره صدره العارى يعلـو ويهبـط بسرعة .. فتح عينيه بصعوبة ... رأى حماره فى بستان قريب وعلى ظهره زنبيل الملح .. امتدت يده الى جبينه المشتعل .. لمح من بعيد وراء السراب شبحا يقترب منه شيئا فشيئا .. تحامل على نفسه محـاولا الاختفـاء وراء الاكمة ...

أحمد الفهيرى

نقطـة أفريل 1984

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com